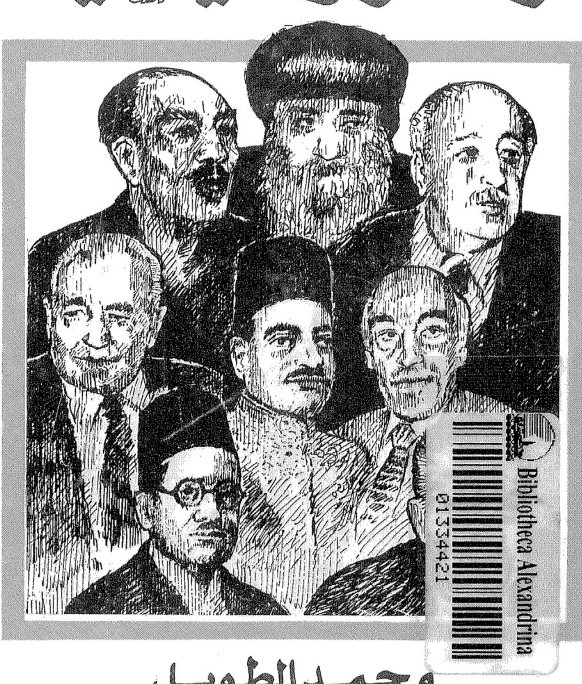
فكرى مكرم عبيد وأسرار سياسية



محمد الطويل

محمد الطويل

فكرى مكرم عبيد
وأســرار سياسية

الطبعة الأولى

رقم الإيداع ٩٥/٩٦٨٨

الترقيم الدولى I.S.B.N. 97705693-00-4

الناشر

الواحة للنشر والتوزيع

٤ ش أحمد سوكارنو ـ العجوزة ت: ٨٦٤١٥١ ـ ٣٤٦٤٧٣٧


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــة

فى السياسة نجوم. وتبقى هذه النجومية فى عالم السلطة زمن طال أم قصر ثم تخرج أو تـترك أو تتنحى أو تعتزل عن هـذا العالم إلا أنه يبقى أو لا لها بصحة أو رصيد أو تاريخ.

ولعل هناك بعض الـنجوم التى يمكن القول فيها أن زمـن سلطانها قصير إلا أن تأثيـرها كان كبيراً. واستطاعت أن تترك خـلفها ظلالاً ما زال الناس يتحـسسونها ويسعون فى الـتنقيب فيها عن حـقائق ووقائع سياسية وتاريخية.

ومن هؤلاء «فـكرى مكرم عـبيد» الذى فـوجئنا بـه أول أمين عام للحزب الوطنى الديمقراطى الذى أقامه الرئيس أنور السادات وحينذاك دارت تساؤلات ولكنها كانت أقرب إلى الهمسات واللمزات حول هذا التعيـين. وفوجئ الجميع بنـشاط وحيوية وحماس الـرجل والحضور والتأثير الذى لا يخلو من الإبداع.

ثم عين نائباً لرئيس الوزراء لشئون مجلس الشعب والشورى وهو أول منصب وزارى لـه. لم يتدرج قبله كـوزير ولكنه عين مـن القمة على الـقمة وبقى عـليها حتـى خرج من السـلطة وكانت قـد قاربت الأربع سنـوات فقط ولكنـها فترة ثراء من الـعطاء والحيويـة والحركة

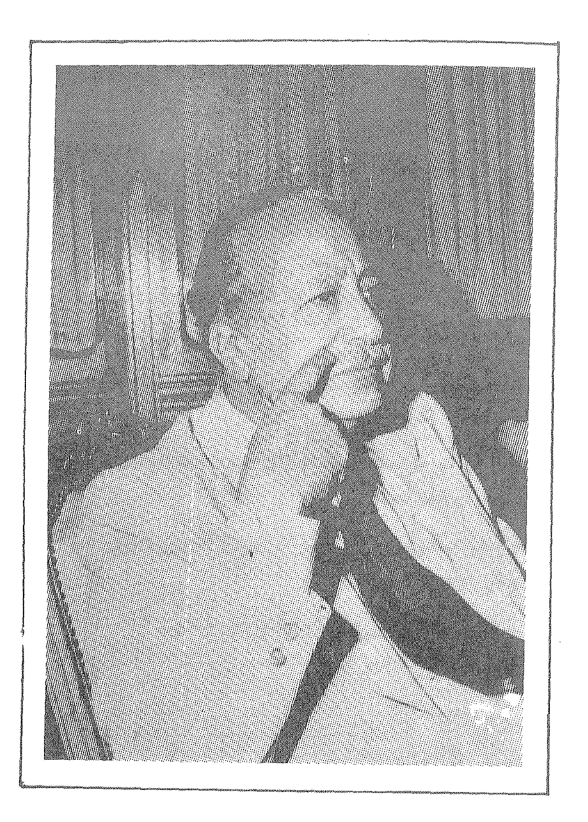
السياسية الواعية وقد شارك خلالها فى صنع سياسات وقرارات ووقائع وشاهداً أيضاً على حقائق.

وإن كان شاهداً فى الفترة المشار اليها والتى تدور حول أواخر السبعينات وأوائل الثمانينات إلا أنه كان أيضاً شاهداً لحقبة تاريخية هامة وخطيرة فيما قبل الثورة. باعتبار أخوته للزعيم الوطنى المرحوم «وليم مكرم عبيد» سكرتير عام حزب الوفد السابق ورئيس حزب الكتلة الوفدية وأحد أعضاء الوفد المصرى إبان ثورة ١٩١٩ والتى نفى فيها خارج مصر من أجل مطالبته بالاستقلال الوطنى وكانت هذه الأخوة والبنوة أيضاً وعاء لشهادته التاريخية على وقائع وحقائق سياسية وتاريخية هامة كان لها تأثير كبير فى تاريخ مصر الوطنى.

وقد ابتعد عن السلطة على ما يزيد عن عشرة أعوام. إلا أننا فوجئنا مرة أخرى بتعيينه عضواً بمجلس الشورى. وقد عاد بحيويته ونشاطه وكأنه لم يبتعد كل هذه السنون عن الأضواء. وكانت المفاجأة الكبرى تعيينه عضواً فى المكتب السياسى للحزب الوطنى الحاكم وهو أعلى سلطة حزبية.

ومن ثم كان لابد من الحوار معه ولقاءه. والتنقيب عنده حول بعض الوقائع والحقائق السياسية والتاريخية سواء كان شاهداً عليها أو أحدصناعها. ولذلك كانت هذه السطور التى لا تحمل إلا القليل وما زال فى جعبته الكثير وقد احترمنا قليله عسى أنْ يقدر لنا فى مناسبة أخرى المزيد من الكثير لديه.

محمد الطويل



الفصل الأول:

فكرى مكرم عبيد والوفد القديم؟؟

- أسرار علاقة الود الشديدة بين النحاس باشا ووليم مكرم عبيد.
- درس وليم مكرم عبيد القرآن الكريم لمدة ١٩ شهور.
- شارك في وضع الكتاب الأسود مصطفى أمين وجلال الحمامصى.
- وليم مكرم أدخل فؤاد سراج الدين حزب الوفد وهو أدخله المعتقل.
- التقى النحاس باشا بالجنرال ستون قبل تولية الوزارة فى ٤ فبراير.

اذا جاز لأى منا التحـدث عن طفولته ونشأته. فإن ذلـك غالبا ما يكون عندما نجتاز مرحلة الرجولة بسـنوات طويلة. فما بالنا بشخصية سياسية عامة وهامة عندما تتحدث عن طفولتها!! هذا وإذا كنا نتحدث عن نشأتـنا. فإن فكرى مكـرم عبيد يتحـدث عن طفولته ونـشأته من مرحلة الصبا ويعتبر هذه الـنشأة هى الأساس الأول فى حياته وكيانه. وهذه النشـأة كانت مع بداية المرحلـة الثانوية فى منـزل وكنف وتحت رعاية وعنايـة أخيه الأكبر وليم مكـرم عبيد الزعيم الوفـدى السياسى الكبير والـرجل الثانى فى حزب الأغلـبية قبل الثورة. ومن هـنا فهو يعتبر طـفولته السياسية ونمـوها يبدأ من هذه المرحلـة وفى ذلك المنزل بالقاهرة.

فقد ولد فـى قرية الحوعيدات بمـدينة قنا فى عـام ١٩١٦. وبذلك فهو حتى صدور هذا الكتاب يكون قد أكـمل الثامنة والسبعون عاما- أطال الله عمـره- وقد بدأ مرحلته التـعليمية في المدارس الحـكومية- وهو فـخور بذلك- بـدءا من مدرسة قـنا الابتدائـية وكذلك مـدرسة الحسينيـة الابتدائية. ثم وفادته للـقاهرة واستكمال المرحلـة الابتدائية بمدرسـة مصر الجديـدة ثم مرحلـته الثانـوية فى مدرسـة فؤاد الأول الثانوية وأخيرا طالبا بكلية الحقوق جامعة القاهرة الذى تخرج منها فى

عام ١٩٣٦ وكان حينـذاك عمره لايتجاوز الواحد والعـشرين عاما الا أنه حصـل أيضا بعد تـخرجه على دبـلومات علـيا في القانـون العام والقانون الخاص والاقتصاد السياسى.

وحيث انه عند تخرجه لم يتجـاوز الواحد وعشرين عاما. فانه لم يتمكن من قيد اسمه فى سجل نقابة المحامين. الا أنه كان يعمل لدى أخيه كـمحامى تحـت التمرين مـعاونا ومسـاعدا لأخيه. إلـى أن بلغ الواحد والعشرين عاما فقيد اسمه فى ابريل عام ١٩٣٧ واستمر يعمل لدى أخيه حتى عام ١٩٥٠.

ويقول عن هـذه الفترة: وكما هـو معروف فإن أخى الأكبـر وليم مكرم عبيد كان من أبرز وأقدر المحامين في المجال الجنائى. قلما تجود البلاد بمثلـهم. الا أنه وجهنى ودفعنـى إلى القضايا المدنيـة والتجارية ولذلك تخصصت فى هذين المجالـين. وقد أفادنى بذلك التوجيه لأن أصل القانون هو القانون المدنى. وكما يقول المثل الفرنسى:

«ليس هناك رجل قانون إذا لم يعمل بالقانون المدني.. الا أنه فى عام ١٩٥٠ قد استقـليت عن أخى وفتحت مـكتبا للمحامـاة لحسابى الخاص إلى أن اختـيرت أول أمين عـام للحزب الـوطنى الديمـقراطى ونائبا لرئيس الوزراء لشئون مجلسى الشعب والشورى.

وعن عـلاقته وتأثـره بأخيه الأكـبر وليـم مكرم عبـيد أجاب بتـأثر واضح: لقد كان فارق السن بيني وبينه كـبير ولذلك كان يعتبرنى ابنه وقد مات دون أن يكون له ولـد. وتبعا لذلك فكان يحبنـى ويعاملنى

معاملة الأب لأبنه وليس معـاملة أو حب الأخ لأخيه بل وصل الأمر عندما تزوجت فقد أصر على أن أقطن معه نفس منزله حيث كان بقية أهلى فى قنا.

ثم تـنهد قلـيلا وأضاف قـائلا: لقـد تأثرت به تـأثرا شديـداوكان التفاهم الـتام يسود علاقتنا. وأظـن أنه لم يبح بما فى قلـبه ولم يقل بمكنون نفسه لإنسان مثلما فعـل ذلك معى. فكانت عواطفه محبة أب وأبن وتلميذ وصديق.. ومستودع أسرار.

وعندئذ وصل إلى مـسامعنا رنين الهاتف فقام بالـرد على المتحدث الذى انشغل معه دقائق. وفى اثناءها كنت أفكر كيف أستوضحه وهو مستودع أسرار أخيه الأكبر سكـرتير عام حزب الوفد . وبماذا سأبدأ. حينئذ انتهى من حديثه التليفونى وبادرنى بسؤاله: بماذا تريد أن تبدأ؟

فأجبته بسؤال أيضا: هل نبدأ باستيضاح علاقة النحاس باشا ووليم مكرم عبيد باشا التى كانت مـضرب الأمثال في التاريخ الماضى أم نبدأ بزعيم الوفد الحالى فؤاد سراج الدين باشا أم ماذا ترى؟!.

أجاب على الفور كأنه يتحدث عن بديـهية تازيخية فقال: يكفى ان تعرف أسـاس علاقة النـحاس باشا بأخـى مكرم ومدى المحـبة والود والأخوة الصداقة التى كانت تربطـهم ببعض أنه فى عام ١٩٢١ عندما تقرر نفى بعض القيادات الوطنية بأوامر انجليزية إلى سيشل هم ستة: سعد زغلول والنحاس وفتح الله بركات وعاطف بركات وسينوت حنا ومكرم عبيد. وهـم الذين رفضوا انذارا بريطانيا بـالعودة إلى بلادهم

وإذا لم ينفذوا ذلك فلكل يتحمل عواقب رفضه وكان هذا الانذار موجه لستة عشرة شخصية. فعاد عشرة إلى بلادهم ورفض الستة المذكورة أسماءهم. فتقرر نفيهم إلى جزيرة سيشل في المحيط الهندى. وعندما ركبوا سفينة بريطانية إلى عدن تمهيدا لنقلهم إلى سيشل. أصيب مكرم عبيد بمرض الملاريا. وعلى أثر ذلك رفض النحاس باشا استكمال الرحلة وفضل البقاء مع مكرم عبيد للقيام والاشراف على تمريضه لفترة ثلاثة أسابيع حيث انتقل خلالها بقية الوفد المنفى إلى سيشل وقام بتمريضه وحنان ورعاية وقدرة وكأنه والده أو أمه. إلى أن شفى مكرم عبيد والذى كان يشعر دائما بامتنان لهذا الموقف وانه قد أنقذ حياته. ولذلك فالمحبة والود والصداقة والصفاء قد جمع بينهم حتى تدخل الوشاة وأفسدوا هذه العلاقة المثالية.

ورغم مرارة هذه الذكرى. الا أننى لمحت ابتسامة فى وجه فكرى مكرم عبيد. فنظرت اليه مستفسرا فتحدث وابتسامته تتسع:

وبالطبع لم يكن لهم عمل يشغلهم فى المنفى. وكانت ساعات الفراغ كثيرة ولذلك لجأت المجموعة إلى بعض التسلية والترفيه. فكان سعد زغلول يحب الاستماع الى مكرم عبيد وهو يغنى الأغانى القديمة للموسيقار سيد درويش ومحمد عثمان وآخرين حيث كان يتمتع بصوت رخيم. الا أن ذلك لايستغرق نصف ساعة فى اليوم. فسعى مكرم عبيد الى مزيد من شغل الوقت فعقد اتفاقا أو صفقة مع عاطف بركات ابن أخت سعد زغلول وكان ناظرا (عميدا) لكلية دار العلوم.

وبمقتضاها يقوم مكرم عبيد بتعليم عاطف بركات دروسا انجليزية لأنه كان خريج جامعة أكسفورد بانجلتر- ومقابل ذلك يقوم عاطف بركات. وهو من خريجي الأزهر- بتجويد القرآن لمكرم عبيد. وهكذا قضوا بعضا من الوقت في تعليم الانجليزية تارة ودراسة القرآن تارة أخرى. دراسة مكرم عبيد للقرآن الكريم لمدة ١٩ شهر زرعت به تأثرا شديدا لدرجة التقليد وليس الاقتباس وكأن اللفظ يطاوعه وكان خطيبا بارعا. ومقاتل عنيف. إذا أحب قبل وإذا كره قتل. فاما ان يقبل أو يقتل . رجل فاضل ليس به ضعف أخلاقى أو نسائى أو مالى وكان خطيب الجماهير.

وصمت لحظات ثم عاد وتحدث بهدوء قائلا: لقد كان النحاس ومكرم عبيد كالروح فى جسدين لايستطيع أحد أن يفرق بينهما. . الا. .

وعاد لصمته مرة أخرى فاستحثثته على الاستمرار فقال:

الى أن فرق بينهما بالفعل . فكيف وقع ذلك وهى حادثة تاريخية وسياسية فريدة بين صديقين وزعيمين فى تاريخ مصر؟!.

فأجاب بروية وقال: كنت فى المنزل حيث أقطن مع ولـيم مكرم عبيد وقد سمعته فجأة وهو يصيح بغضب مع متحدث فى الهاتف. وبطريقة تكاد تكون هستيرية ووصل إلى مسامعى بعض الكلمات والعبارات:

أنتم بتعملوا أيه؟ أنتم حاتسيئوا للراجل! أنتم حاتخربوا البلد!.أنتم أبعدوا عنه ! ابعدوا عنه.

وبعد ما شعرت انه هـدأ قليلا دخلت عليه غرفة مكـتبه سألته عن سبب غضبه وصياحة؟.

فأجاب بصـوت مازال الغضب يحـمله: شوف ياسيـدى صاحبك أحمد الـوكيل. يطلـب تصاريح اسـتيراد وتصديـر ولايدرى ان هذا الطلب يـسئ إلى النحاس باشا لأنـه نسيبه. وانا قلت لـه أبعدوا عن الموضوع ده.

ولكنه يرد ويقول: مش أحنا أحق وأولى من اليهود الذين يحققوا ثراء. فقـلت له: فلـيثروا عن غيـر طريقنا. مـالنا وبهـم. . ان فخر النـحاس باشـا أنه فـقير. وعـندما تـضيـع هذه المزيـة سيكـون مثـله كالأخرين. فانا اسـتأت وغضبت وزعلت منه بعديـن صحت فيه كأخ أصغر أوجه له النصح. وقلت له أبعد عن الراجل حتى لاتسيئ اليه.

ثم يـصمت فـكرم مكـرم عبيـد لحظات. يسـتعيـد فيهـا تفاصـيل ماحدث. ثم يعود ويستدرك قائلا: ان أحـمد الوكيل هو شقيق زينب هانم الوكيل حرم النـحاس باشا. ولـم يستكمل تعليمـه العالى واكتفى بمؤهل متوسط وعمل موظفا بسيطا فى مجلس النواب.

ثم يعود ويـستطرد بقوله: وكان الـنحاس باشا قد شكـل الحكومة فى ٤ فبراير ١٩٤٢ وعين وليم مكرم عبـيد وزير للمالية كذلك وزيرا للتموين حيث استحدثت هـذه الوزارة الجديدة لظروف الحرب العالمية وتأثيرها السلبـى على ندرة السلع التموينية الأساسيـة للجماهير وكان يناط بـه كوزير تموين اصـدار تصاريح الاستـيراد والتصديـر من أجل

سلع ضرورية للشعب المصرى وتصدير سلع مصرية للخارج. وفور تشكيل هذه الوزارة. لجأ صبحى الشوربجي- وهو رجل صناعة- إلى أحمد الوكيل وهمس اليه قائلا: أنت ساكت ليه ولدينا فرصة لنكسب مئات الآلاف أو الملايين فهناك تجارة بين مصر وفلسطين لبنان وسوريا لاحدود لها. وحيث أن جماعة اليهود والمتمصرين يحصلون على تصاريح استيراد وتصدير فنحن أحق بها.

بهذه الهمسة راقت الفكرة لأحمد الوكيل. واتصل بأخى وطلب منه هذه التصاريح الا أن أخى نهره لمصلحة النحاس باشا وكذلك لمصلحة الحزب. الا أن أحمد الوكيل لم يقبل بالنصيحة وذهب إلى أخته زينب هانم الوكيل حرم النحاس باشا اشتكى اليها ثم تضامن معه بعض المقربين والمستشارين للنحاس والطامعين فى تكوين ثروات وكان أبرزهم أحد كبار رجال القضاء والثانى أحد المستوزرين والذي تولى فيما بعد زارة واشتهر بألف مرحبا والثالث فؤاد سراج الدين وأخرين. وبدأوا يحيكون الدسائس بين مكرم عبيد والنحاس والذي كانت تربطهم صداقة يضرب بها المثل- وأخذوا يلحون على أذن النحاس بصورة مروعة تخرج أى إنسان عن طبيعته السمحه ورددوا على مسامع النحاس ان وليم مكرم عبيد يسعى لأن يجعل رأسه برأسك. ودللوا على ذلك أنه كان هناك عمودان فى الصحف اليومية أحدهما معنون بالرئيس الجليل يعرض مقابلات النحاس باشا واتصالاته والعامود الأخر معنون بالمجاهد الكبير وهوخاص بأخى

يعرض فيه مقابلاته واتصالاته أيضا ويقولون له: هل رأيت من قبل مثل هذا. عامود خاص به يقابله عامود بسكرتير عام الحزب. وكانت الصحافة تقدم العمودان يوميا لتجميل صورة حزب الوفد أمام الجماهير وكان ذلك مطلوبا.

لحظة صمت عاد بعدها وفى صوته تأثر وقال: وأخذوا يرددن عليه أيضا أن وليم مكرم عبيد يحارب نسايبك لأن في قلبه غيرة منك. إلى أن أحدث هذا كله الأثر الذى يسعون إليه. وكأننا بالمثل القائل.

الزن على الودان أمر من السحر.

وكان وليم مكرم عبيد متمسك برأيه ويرى أن هذه التصاريح لها نظم قانونية خاصة وتمنح للشركات الكبيرة التى تتعامل في المواد الغذائية وتحت رقابة وزارة التموين التى يرأسها.

وتحت الضغوط التى حاصرت النحاس باشا. فاتجه الى وليم مكرم عبيد بالاستفسار عن عدم منحه هذه التراخص لأقارب زوجته فرد عليه قائلا: لأننى حريص عليك جدا وحريص على مصلحتك وسمعتك. فأنت لا تملك رأسمال غير سمعتك ونزاهتك وطهارتك وطيبة قلب وطنية. وعندما تنسلخ منك هذه السمعة والنزاهة ستضيع ونحن من وراءك سنضيع أيضا.

وهنا يستطرد فكرى مكرم عبيد قائلا: الا أن النحاس باشا لم يقتنع وتوسع الخلاف. فهناك فريق النحاس ومن حوله يروا أن للوفديين وهم الذين ابتعدوا عن الحكم فترة طويلة لهم الحق فى

استثناءات ومحسوبيات كل الأعوان ووليم مكرم عبيد كانت تسيطر عليه بل تتملكه فكرة العدالة والتى يرى بمقتضاها رد الظلم انما لايرد ظلم بظلم للأخرين. وهذا شئ غير مقبول. الا أن المحيطين بالنحاس نجحوا في توسيع هذا الخلاف بشدة وسعوا الى أبعاد وتنحية وليم مكرم عبيد عن النحاس والحكومة والحزب الذى يمثل لهم المانع والعائق لتحقيق أهدافهم لتحقيق الثروات. ووصل الخلاف بالفعل إلى أقصى مدى حيث طرد وليم مكرم عبيد من الوزارة والحزب وسقوط عضويته البرلمانية هى أول سابقة فى تاريخ مصر النيابى.

يضيف فكرى مكرم عبيد بقوله: وكان لذلك رد فعل عنيف وشديد من وليم مكرم عبيد ردا على كل هذه الاجراءات التى اتخذت ضده فأصدر «الكتاب الأسود» المشهور وقد ساعده فى اعداده من رجال الصحافة الأساتذة مصطفى أمين وعلى أمين وكامل الشناوى وجلال الحمامصى وأحمد قاسم جوده ومن رجال الحكم أحمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكى. وكان كل من الأخوين مصطفى وعلى أمين همزة الوصل بين وليم مكرم عبيد وأحمد حسنين باشا وصدر الكتاب عنيفا فى محتواه وعرضه لبعض الفساد والمحسوبية فى الحكومة الوفدية.

وعلى أثر ذلك اعتقل وليم مكرم عبيد ضمن بعض السياسيين كعباس حليم وعلى ماهر وطاهر باشا. وبعثوا به إلى سجن فى بلد اسمها السروفى شمال الدلتا.

ولحظات تأمل ويعود ويتذكر قائلا: ذهبت لزيارته فى هذا

السجـن. وجدته فى حالـة يرثى لها. وبـادرنى بقوله: انـنى لم أذق النـوم منـذ سبعـة أيام لأن الـناموس كـثير وكـبيـر فى حجـمه مـثل الصراصير.

وعندما شعرت بتدهور صحـته. فذهبت من فورى إلى فؤاد سراج الدين وزير الداخلـية حينذاك. وقلت له: هل من المـعقول ان تفعل ذلك فى مكرم عبيـد هل نسيت ما فعله من خير لـك. هل نسيت أنه الذي قدمك للوفد وفتح لك أبوابه. فأبدى دهشته ورد بقوله:

وهل تـصدق اننى أفـعل ذلك لرفـعة الباشـا. فلاذنب لى ولـيس للنحاس باشا ذنب فى هذا. انما هذا بـناء على طلب الانجليز. فقلت له: هذا عـذر أقبح من ذنـب. كنت أفضـل أن تقول أنكـم تحقدون على هذا الرجل فقررتم حبسه. بـدلا من قولك أنكم خضعتم لأوامر الانجليـز. بل المفروض ان تـعارضوا هذا. لأنكـم تعلمـون أنه رجل وطنى وانـه قد زامل النـحاس فى النضـال الوطنى فقـاطعنى مـهدئا وسألنـى: على كل حال مـاذا تريد؟ فطلبـت منه ان ينقـل أخى إلى المستشفى. وبالـفعل نقل إلى المستشفى الايطـالى. وقد رافقه حارسا عليه ضابط الشرطة محمود كامـل يس- والذى أصبح فيما بعد نقيب الاشراف- وهو رجل عـلى خلق ممتاز وتعـامل مع وليم مكـرم عبيد وكأنه ابنه وبالفعل أكرمت اقامة أخى فـى المستشفى حيث منح جناحا تستطيع زوجـته ان ترافقه به لتقوم برعايتـه. إلى أن أفرج عنه ودخل

الوزارة مع أحـمد ماهر بـاشا. وعقب خروجـه استقبـلته الجمـاهير استـقبالا كبـيرا وألقي فـيهم خطـبته الـشهيرة الـذى بدأها بتـرديد: اللهـم. . اللهم. . الـلهم لاشماتـه انما هناك عـبرة وتذكيـره. حيث أقيلت وزارة النحاس وتشكلت وزارة أحمد ماهر.

ويتوقف محدثي لحـظات يرتشف فيها بعضا من الـقهوة. ثم يعود لحديثه وهو يهز رأسه إلى الأمام وكأنه يـدفعها للتأمل والتذكر وقال: ولكننى مؤمن ايمانا تام بأن الانجليـز لم يأمروا باعتقال أخى انما الذين دفعوا النحاس بـاشا لذلك المحيطين به والذين تأمروا عـلى صداقتهم أصحاب المصالح والانتهازيين فمارسوا الضغط على النحاس حتى أمر باعـتقالـه هذا يعـد خطأ كـبير مـن النـاحية الـسياسـية والاعتـبارات الشخصية.

وفى أثناء انـتهائه من الرشـفة الأخيرة لفنـجان القهوة. فتـساءلت قائلاً:

وأما الحكومة أو الوزارة التى فصل أو طرد مـنها وليم مكرم عبيد فهى نـفس حكومـة أو وزارة الوفد فى ٤ فـبراير ١٩٤٢ والشـهيرة. والتى تـعرض من أجلها حـزب الوفد قديما وحـديثا لهجوم الـشديد. حيث أنـك كنت أقرب انـسان لأخيك مسـتودع أسراره وشاهـد على أحداث كبيرة. فأعتقد انه يمكنك ان تدلى بحقيقة ماوقع من ملابسات وظروف دارت حول أحداث ٤ فـبراير ١٩٤٢ التى تولـت فيها وزارة

الوفد الحكومة برئاسة النحاس باشا وكان أخيك عضوا فيها حيث تولى وزارتي المالية والتموين لأول مرة. فماذا عن ذلك الحدث التاريخى والذى مازالت بعض أسراره خافيه؟.

وكان طوال تساؤلى يمسك بسبحته ويتلو عليها ترانيمه الدينية وينظر لى فاحصا متأملا. ثم تنهد قليلا وألقى برأسه على مسند مقعده الشرقى بمكتبه- جاء صوته متهدجا وقال:

الواقع أن أحداث ٤ فبراير كتب فيها الكثير وتحدث عنها الكثيرون مابين مؤيد ومعارض انما يجب على الإنسان النظر اليها كمرحلة من مراحل الأحداث الوطنية التى أصابت البلد فى أواخر الحرب العالمية الثانية.

واستطرد قائلاً: وفى تلك الأونة أى ظروف الحرب العالمية الثانية الجارية فقد انقسم رجال السياسية الى فريقين انقساما شديدا. وبالتالى كان الرأى العام شاهد على هذا الانقسام. ولايدرى بالضبط ماذا يفعل والملك فاروق يميل إلى ايطاليا ويحب الايطاليين ويحاط بهم. فكانت جدة أم والده ايطاليه. وكان يحب الثقافة الإيطالية إلا أن رجال الحكم متأثرون بوجود الانجليز فى مصر. خاصة أحمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكى واللصيق بالملك فاروق.

ثم استدرك بقوله: الا أن مشاعر الشعب كانت تميل إلى تأييد المانيا وتحمل الاعجاب للقائد الألمانى روميل. وقد سارت مظاهرات

شعبية فى كثير من بلاد القطـر المصرى تشجع هذا القائد وتردد: إلى الأمام ياروميل وبالطبع كان ذلك يعكس مشاعر الشعب ضد الانجليز، مشاعر كراهية وان كانت ليست حبـا فى الألمان أو هتلر انما تطلعا إلى ان الألمان يحررا مصر من الانجليز وتتخلص مصر منهم نهائيا وخاصة ان الدعايـة الألمانية التى تـصل إلى مصر كـانت تردد ان هتلر يـسعى لإنقاذ مــصر من الانجلـيز وان موسوليـني زعيم ايطـاليا يحـب مصر والإسلام والمسلمين بل وصل الأمر ان بعث موسولينى بحصان أبيض إلى بنغازى فى ليبيا تمهيدا لان يدخل مصر على حصان أبيض. بذلك كانت هــناك بلبـة أحدثت بعض الـفوضى حتى انـنا لانشعـر بوجود حكومة قـابضه على زمام الأمـور فى الدولة. وكان فى خـضم ذلك كلـه يتـوقع الانجلـيز تـفوق روميـل في العـلمـين والتى تـبعـد عن الاسكـندرية بمـسافة ١٤٠ كـيلوا متـر بل ان طلائـع الجيش الألمـانى (الكشافة أو الاستطلاع) قد وصلت إلى مـنطقة المكس بالأسكندرية. وعندئـذ شعر الانجلـيز بأنه اذا مـاتقدم روميـل إلى الأسكنـدرية فإن الشعب سينقلب ضدهم وهذا سيدفعهم ويضطرهم إلى خوض معركة اضافية إلى معارك أخرى فى عدة جبهات. وبذلك سيخوضون حرب ضد الرأى العام المصـرى والثورة المصرية المتوقعة. وتـخلصا من هذا المأزق فقـد خططوا فرار قـواتهم إلى فـلسطين أو السـودان. وكذلك تدمير الجسور التى تصل شرق وغرب البـلاد ببعضها وبالطبع فإن هذا التكتيك العسكرى غير أخلاقى . الا أنـهم كانوا يسعون لتحقيق المثل

القائل: علـى وعلى أعدائى. لأن هدفـهم ليس الاستمـرار فى مصر فحـسب. بل صـناعة حـاجز أو مانـع لعدم تـقدم قوات المحـور إلى فلسطين والهند درة التاج البريطانى.

ويضيـف قائلا: وفى هـذا الجو العام كان الانجـليز فى حـالة ذعر حقيـقى لأنهم يـشعرون ان روميـل يمكنه الـوصول إلى القـاهرة فى ساعات لأن طلائعه قد وصلت إلى المكـس التى تبعد عن الأسكندرية بخمسة كيلو مترات . وكان الملك فاروق فى حالة خوف من كل هذه الملابسـات والظروف الخانقـه والتى لايستـطيع رئيس الـوزراء حسين سرى باشا اسعافه منها لأنه رجل ضعـيف انفعالى وكان قريب للملك عن طريق الـصهر لانه زوج خالة المـلكة فريدة زوجتـه. ولذلك كان يمثل العوبة فى يد الملك.

ورغم الحـيرة التى كـانت تعتـرى موقف الانجـليز الا أنهـم قرروا التحـرك للقبض عـلى زمام الأمور فـى مصر ومنع أى ثـورة ضدهم ورفع أى معوقات لمواجهة روميل.

وتناول فكرى مكرم عبيد قليلا من كوب المياه. ثم عام لحديثه بثقة أكثر وقـال : وعلى ماسـمعت بعد هـذا الحادث. فان الانجلـيز بدأوا بالاتصال بـالنحاس باشا بـطريقة غير مـباشرة عن طريق أمـين عثمان سمسار السياسة المصرية البريطانية فى ذلك الحين. وكان النحاس باشا فى خضم هـذه الظروف داخل البلاد ولافـتقادها النظـام والانضباط

والحريات والبرلمان والأحزاب ليس لها فاعلية والحال كما يبدو حينذاك فى تدهور واضمحلال كامل.

وكان النحاس باشا أثناء ذلك فى أسوان يقضى بها بعض الأيام فذهب اليه أمين عثمان وسأله رأيه فيما لوان الانجليز قرروا وأصروا على عودته للحكم كرئيسا للوزراء.

واستند فكرى مكرم عبيد بشئ من الاسترخاء على مقعده وأضاف:

والعهدة على الراوي- الله يرحمه- أن النحاس باشا قد التقي بالجنرال ستون أيضا فى أسوان الذى كان موقعه رئيس البعثة البريطانية العسكرية فى مصر طبقا لمعاهدة ١٩٣٦.

وأكد بقول: للحق فإن الذي فهمته من الرواية التى وصلت لى ان فكرة المظاهرة العسكرية الانجليزية التى وقعت في ٤ فبراير لم تكن واردة فى هذا اللقاء انما ماجرى فيه ان الانجليز سيطلبون من الملك فاروق اجراء انتخابات حرة حتى يمكن للوفد الفوز بها ويعود على أثرها الى الحكم لأن الانجليز يسعوا لوجود حكومة قوية تحافظ على على ظهرهم بالحفاظ على النظام فى البلد وبالتالى يمكنهم مواجهة المحور على أبواب مصر فى العلمين.

وكما سمعت أيضا ان رد النحاس فحواه أنه يتبع مصلحة بلده فإذا كانت هذه المصلحة تقتضي تولية الحكم فانه يرحب أو يوافق على ذلك.

ثم عاد وأكد فكرى مكرم عبيد صحة ماسمعه فقال: ويؤيد هذا ماعلمته شخصيا وعاصرته بشخصى. حيث كنت في تل الأونة متزوج وأقضى شهر العسل مع زوجتى فى أسوان. وقد تركناها عائدين إلى الأقصر فى محافظة قنا والذى كان ين ـر بها وليم مكرم عبيد صديقه النحاس باشا وكنا فى مركب (وابورالبحر) والذى كان مملوك لابراهيم بك عياد والد عضو مجلس الشعب الحالى محمد ابراهيم عياد. وكان معنا على ظهر المركب عدد من مرافقى النحاس منهم الشيخ كامل البنا واسحاق حلمى وحسن كامل سكرتيره الخاص وفؤاد سراج الدين والدكتور زكى بشارة وكيل مجلس الشيوخ. وقد وصلنا إلى قنا أثناء غروب الشمس وقد ذهبنا إلى منزل أخى وقد وصلنا حوالى الساعة الثامنة مساء وكان ذلك يوم الثالث من فبراير أى في اليوم السابق لحادث ٤ فبراير.

ويستطرد محدثى راويا: وكنا في المنزل مع النحاس باشا وأخى وبعض المرافقين وإذا بالتليفون يبعث رنينا ليحمل الينا صوت سعيد باشا ذو الفقار كبير الأمناء بالقصر الملكى. ويطلب الحدث مع النحاس الذى رفض الرد عليه وطلب من أخى ان يرد عليه. الا أن أخى ألح على النحاس بأن يقوم بالرد لأنه طلبه هو ولم يطلب أخى الا أن النحاس باشا أصر على عدم الرد. فأشار إليه أخى بأن هذا الرجل كبير أمناء القصر الملكى وإذا كان الملك يسعى للتقرب لحزب الوفد فلامانع ولاداعى للقطيعه فإنه ملك البلاد. الا أن النحاس رفض وأصر على الامتناع مشيرا إلى أنهم جماعة هجاسين ولافائدة

منهم. فأضطر وليم مكرم عبيد بالرد والحديث مع محدثه فى التليفون وقد علـم منـه ان هناك اجتماع فـى الغد دعـا إليه الملك الزعـماء السياسيين والأحزاب ومطلوب حضور النحاس ووليم مكرم عبيد لهذا الاجتماع.

وقد علم النحاس بتلك الدعـوة في التو. الا أنه اعترته حيرة أخى لعدم وجود قـطار- فى هذه الليلـة- يمر على قنا. الا أن ولـيم مكرم عبيد اتته فكرة واتصل على الفور بمـحطة القطار وطلب من المسئولين بها ايقاف قطار الـسياح العائد من الأقصر متجها لـلقاهرة لأنه كان يمر على قنا بلا تـوقف. وبالفعل تم ذلك وركب القطـار النحاس وأخى وتركوا وراءهـم زينـب هانم الوكيل حرم النحـاس وفؤاد سراج الدين فى قنا وسافروا حتى وصلوا فى فجر يوم ٤ فبراير.

ويقتـرب فكرى مكـرم عبيد من خـتام شهادتـه التى تؤكـد صحة ماسمعه قائلا: وبعد يوم سافرت إلى أسيوط وهى بلد زوجتى وذلك لأقضي مع أهلها أيام بعد شهر العسل وبها أقام نادى سبورتنج أسيوط حفلة. فالـتقيت فيها بالمرحـوم الأمير الاى محمد كمال عـبدالرحمن ضابط الاتـصال بين البعـثة العسكـرية البريـطانية والجيـش المصرى. ويادرنى بلهفة قائلا:

ألم تعلم بما حدث فى مصر (القاهرة). فأجبته مندهشا بالنفي.

فقال: ان الانجليز قد حاصروا سـرايا الملك بالأمس وأصروا على أن النحاس باشا يـتولى الوزارة. فتساءلت بدهشـة: بدون مقدمات.

فأجابنى محمد كمال بقوله: لأ. إنما أننى أعلم أن أمين عثمان والجنرال ستون التقوا بالنحاس باشا فى أسوان.

وهنا يتوقف فكرى مكرم عبيد عن الاستطراد ليقول جملة اعتراضية:

اننى أروى الرواية علي عهدة من قالها رحمه الله ولكنني اعتقد انها الحقيقة التى لاشك فيها. لأننى أثق فى أخلاقيات ووطنية الأمير الاى محمد كمال عبدالرحمن.

ثم عاد محدثى إلى الاستطراد قائلا: ثم علمت بما حدث فى الاجتماع الذى عقد فى ٤ فبرايرا بسرايا الملك بحضور الزعماء السياسيين والأحزاب وقد بدأ الملك في عرض الأمر عليهم وفحوى الانذار البريطانى وطلب الانجليز أن يتولى النحاس باشا رئاسة الوزارة. الا أن النحاس رد على ذلك العرض بضرورة عودة الحياة الدستورية إلى البلاد واجراء انتخابات حرة وما تسفر عنها من فوز أحد الأحزاب فعليه ان يتولى الحكم. الا أن أحمد ماهر باشا وأخرين رفضوا ذلك وطلبوا من الملك تشكيل حكومة ائتلافية من الأحزاب. الا أن النحاس رفض ذلك المطلب وقال: اننى لا أتعاون اطلاقا ولا أتولى الحكم فى حكومة ائتلافية تختلف في اليوم التالى لتشكيلها وتنفض ونعود للسيرة الأولى وكأن شئ لم يحدث. انما لابد الاحتكام للدستور فالحكم للأغلبية التى تفوز فى الانتخابات الحرة.

وقد دارت المناقشات فى هذا الاجتماع. وأصر النحاس باشا على

رأيه وعندئذ صاح أحمد ماهر موجها حديثه للنحاس وقال: ان دولتك جاى على رأس الحراب الانجليزية. فغضب النحاس بشدة ورد عليه بعنف:

ان هذا الكلام لايوجه لى. فاننى منذ ولدت أحارب الانجليز انما ما اقترحه الأن فهو لخدمة بلدى. اننى لم أدعوا لهذا الاجتماع والحكم يجب ان يكون للأغلبية ولن أوافق اطلاقا على حكومة ائتلافية.

وفى ضوء هذا فقد اضطر الملك لقبول اقتراح النحاس باشا فكلفه بتشكيل الوزارة التى تمثل حزب الأغلبية حينذاك.

ثم استدرك فكرى مكرم عبيد قائلا: الا أن وليم مكرم عبيد أشار لنقطة هامة بقوله: مشى ممكن نقبل الحكومة أو الوزارة بالطريقة التى تمت بها انما لابد أن الجميع يعرف ان ذلك تكليف من الملك وهو السلطة الشرعية فى البلاد. وقد قبلناه لنحافظ على بلدنا من حالة الفوضي وأكد وليم مكرم عبيد قوله بانه لن يقبل هذا التكليف الا إذا تبادلت الحكومة المصرية والسفارة البريطانية خطابين. أحدهما يصدر من الحكومة المصرية فحواه: اننا- كحزب وقد- كلفنا بتشكيل الوزارة بناء على طلب السلطة الشرعية للبلاد وهو الملك فاروق. واننا قد استأنا مما حدث يوم ٤ فبراير وانه لايجب قبولنا الحكم فى هذه الظرف وتشكيل الوزارة تحت الضغط العسكرى البريطانى الذى وقع في اليوم المذكور.

وانتهى وليم مكرم عبيد من كتابة هذا الخطاب. ثم كتب الرد عليه أيضا والذى من المفترض أنه سيصدر من السفارة البريطانية رد على

الخطاب وجاء فحوى الرد على لسان الانجليز: أننا مقدرين لموقف الحكومة. وان ما وقع كان لاظهار حالة القلق البريطانى على الحالة التى وصلت اليها مصر من فوضى ونحن اذ نعتذر عن هذا ولانعتبره تدخل فى الشئون الداخلية لمصر على أى وجه من الوجوه.

وفى النهاية فاننى أثق فى وطنية النحاس وطهارته وكان لايثق فى أمين عثمان انما كان يستخدمه بصفة ولاءه للانجليز. وكذلك كراهيته للجنرال ستون باعتبار أنه يمثل الاحتلال فى بلده. إنما النحاس كان يتعامل ببراءة ووطنية بل انه رفض الحديث مع سعيد ذو الفقار. ولو كان قد وافق على هذه المظاهرة العسكرية البريطانية فإنه كان الأولى به الترحيب يسعيد ذ الفقار ممثل القصر الملكى يتلهف فى الحديث معه والتودد إليه الا أنه رفض ذلك وما طرحه فى اجتماع الملك من ضرورة عودة الحياة الدستورية وتمسكه بحق الأغلبية فانه على حق.

لحظة صمت. قد عقد ذراعيه على صدره وختم حديثه فى هذا الصدد قائلا: وهذه هى بعض الحقائق حول حادث ٤ فبراير فيما أذكر وكما عاصرتها شخصيا.

الفصل الثانى:

دور فؤاد سراج الدين فى الوفد القديم

- اقنع الباشا الشباب ان السبيل للسلطة هو استخدام المال كسلاح.
- لماذا دخل فؤاد سراج الدين حزب الوفد ووالده وكيل حزب الشعب.
- كانت حرم النحاس مشوقة للثروة.
- حرم النحاس تبيع خاتم الخطوبة لشراء ٨٠ فدان بواسطة فؤاد سراج.
- جيهان السادات لم تتطلع إلى المال وحكاية المرسيدى كذب.

وفى طريقى إلى فكرى مكرم مكرم عبيد فى موعد لقاء ثانى. كانت تدور بذهنى تساؤلات عديدة حول ملاحظة قد لمحتها فى لقاءنا الأول تدور حول فؤاد سراج الدين هذا السياسى العتيق والوفدى القديم. . الجديد.

فقد ذكر فى اللقاء الأول بعض الاشارات منها اشتراكه فى الاطاحة بأخيه وليم مكرم عبيد كذلك اعتقاله. وعندما كان يتحدث عن أحداث ٤ فبراير ١٩٤٢ حيث كان فى قنا مع زوجته وصحبة النحاس وأخيه فؤاد سراج الدين وبعض مرافقى النحاس. قد ترك هذا الأخير زوجته وكذا فؤاد سراج الدين ليسافر للقاهرة لحضور اجتماع السرايا فى ٤ فبراير وما تردد حول خفايا علاقة فؤاد سراج الدين بزوجة النحاس باشا.

بل قد لفت نظرى ان انضام فؤاد سراج الدين لحزب الوفد وهو من الأغنياء كان على غير المألوف بالنسبة لهذا الحزب الذى اشتهر بأنه حزب شعبى أو حزب الجلاليب الزرقاء اشارة إلى الفلاحين فى ذلك الوقت. وكيف انطلق فؤاد سراج الدين إلى قمة القيادة الحزبية فى غضون سنوات قليلة ليصبح وزيرا للداخلية. ومدى تأثيره السياسى داخل الحزب.

وماذا عن كل هذا وارتباط ذلك بتصريح صحفي أدلى به فكرى مكرم عبيد في احدى الصحف العربية ضمن تصريحات أخرى حول فؤاد سراج الدين فقال: ان فؤاد سراج الدين رجل يتمتع بالذكاء وسياسته هى سياسة (العمدة) أى سياسة (المصاطب). انما هو مسئول عن افساد المثل العيا فى السياسة المصرية. فقد كان يلعب دورا كبيرا من وراء الستار وكان من مصلحته ان يزيح من طريقه هذا الجبل الضخم- وليم مكرم عبيد- لأنه لم يكن فى استطاعته ان يصل الى شئ فى ظل وجوده.

يضيف فكرى مكرم عبيد فى تصريحه قائلا: لأن فؤاد سراج الدين بحكم نشأته كأبن ذوات كان يرى ان القوة تكمن في المال.. وان المال يمكن استخدامه فى سبيل السطوة السياسية. فقد استطاع ان يقنع الناس والشباب ان السبيل الى السلطة وإلى السياسة هو استخدام سلاح المال. فقبل ان يصل فؤاد سراج الدين إلى منصبه فى الوفد كان الاقتناع العام ان السياسة والفقر صنوان بمعنى أنه كى تنجح لابد ان تكون فقيرا لكن فؤاد سراج الدين قال:

لا.. كى تنجح لابد ان تكون غنيا ومن هنا اختلفت نظرة الناس للسياسة قبل فؤاد.. عنها بعد فؤاد.

وتدور هذه التساؤلات وغيرها ومنها هل ماصرح به فكرى مكرم عبيد يرتبط بالاستفتاء الذى جرى فى أواخر حكم السادات والذى بمقتضاه عزل بعض السياسيين لافسادهم الحياة السياسية قبل الثورة كما جاء بالنص. وكان أبرز الذين طبق عليهم ذلك فؤاد سراج الدين

وابراهيم فـرج سكرتير عام حزب الـوفد الجديد والمرحوم عبـدالفتاح باشا حسن!؟.

هذا ولما لم ينضم فؤاد سراج الدين لحزب الشعب الذى كان والده وكيلا له وهو من أحزاب الأقلية التى صنعها القصر الملكى لتأييده؟؟.

ما أن جلـست أمام فكـرى مكرم عبيـد فى منزلـه. تجاذبنا حـديثا تمهيديا حول مادار بيننا فى اللقاء الأول. الا وقد طرحت عليه حيرتى وتساؤلاتها وطلبت منه الاستيضاح والحقيقة والاجابة.

وبعد لحظات من التأمل واستـعادة الذاكرة جاء صوته هادئا وروى قائلا: فى أواخر عام ١٩٣٥ حيث كنت لازلـت طالبا بكلية الحقوق. الا أننى كنت أتردد على مكتب أخى وذلك لاكتساب خبرة من خلال المران حتى لو كانت سابقة على التخرج الا انها ستكون مفيدة لاشك فى ذلك. وفى أثنـاء ذلك تعارفت على فؤاد سـراج الدين الذى كان يتردد علـى المكتب لصداقتـه بالمرحوم الأستاذ حسـن الأعور المحامى والذى يعمل ضمـن محامين أخرين بالمكتب وكـان فؤاذ سراج الدين يعمل في تلك الأونة معاون أو مساعد للنيابة على ما أذكر. وفى هذه الاثناء أيضا أبدى فؤاد سراج الدين رغبته إلى حسن الأعور للانضمام لحزب الوفد وترشيحه لعضوية مجلس النواب فسألناه عن عمره اللازم للترشيح فأجاب بأن عمره يسمح بذلك.

فقدمناه إلى أخى وكرر له رغبته. فاندهش أخى متساءلاً:

كيف يـكون ذلك والدك سـراج الدين باشـا شاهين وكيـل حزب

الشعب؟!. فأجابه بقوله : أبى فى طريقه وأنا فى طريقى. واننى مؤمن بمبادئ الوفد.

فاقتنع أخى بذلك وذهب إلي النحاس باشا يعرض عليه الأمر. فانزعج وردد نفس ما قاله أخى عندما تعارف على فؤاد سراج الدين. الا أن أخى حاول اقناعه فأشار إلى ان فؤاد سراج الدين شاب جيد ولكن النحاس عاد وتساءل: كيف انه ابن عدوى. فعاد أخى لاقناعه وأشار إلى أنه من الضرورى لحزب الوفد ان يرحب بالشباب الجديد والنظيف والذى لم يلوث بعد وليس ذنبه ان والده مع اسماعيل صدقى باشا فى حزب الشعب. وهذا شاب أتوسم فيه الخير كما أن له قيمة كبيرة فى كفر الجرايده وستكون دائرته الانتخابية. وختم محاولات اقناعه مشيرا إلى أنه أيضا لابد من ضم بعض العائلات الكبيرة للحزب كما هو حادث فى حزب الشعب وفى حزب الأحرار الدستوريين برئاسة محمد محمود باشا.

وبعد جدل بين أخى والنحاس وافق الأخير على ترشيح فؤاد سراج الدين فى الانتخابات البرلمانية.

واستدرك محدثى قائلا: الا أنه بعد فوزه وحصوله على عضوية مجلس النواب فوجئنا بطعن فى صحة عضويته من أحد الأعضاء. يستند طعنه على ان فؤاد لم يكن قد بلغ السن القانونية. الا أن فؤاد أتى بشهادة ميلاد مسجل بها ميلاده فى ١٩٠٩ . وعندما سئل فؤاد فى ذلك قال: ان الاسم محمد فؤاد سراج الدين: انما الشهادة التى استند عليها الطاعن فالاسم فيها: فؤاد محمد سراج الدين. وقد تبين ان الشهادة التى تقدم بها غير صحيحة . لأن الشهادة الحقيقية مسجل

بها زواج والده ووالدته فى عام ١٩١٠ . وليس من المعقول ان يكون ولد قبل الزواج. فالصحيح ان يكون الزواج فى ١٩٠٩ وميلاده فى ١٩١٠.

إلا أن هذه الواقعة قد فاتت واستمرت مسيرة فؤاد باشا.

ثم أضاف فكرى مكرم عبيد بقوله: وإذا كنت قد أجبت لك على أحد أسئلتك بصراحة. فإن ذلك لايقلل من حبى لفؤاد سراج الدين لأنه شخصية قريبة إلى القلب بغض النظر عن أى خلاف سياسى أو غير سياسى. فهو رجل عمدة. هذه احدى صفات نجاحه كرجل سياسى الذى يحول أى جلسة إلى «مصطبة» وان كان ذلك غير مألوف فى أحزاب الخارج إلا أن هذا الأسلوب يلائم طبيعتنا كمصريين فنحن نحب جلوس المصطبة الخالية من أى تكلف ومن هنا كان أحد أسباب نجاح سراج الدين السياسى.

الا أننى سألته: رغم رفض النحاس باشا المبدئى لضم فؤاد سراج الدين لحزب الوفد ثم موافقته فكيف وصل فؤاد سراج الدين فى غضون سنوات قليلة لأن يكون من قيادات الحزب ووزيرا أيضا وأصبح من المقربين للنحاس باشا هل لذلك كله علاقة بحرم النحاس زينب هانم الوكيل وما دورها فى كل هذا؟؟!.

على الفور أجاب الرجل على تساؤلات بدأ بالأخيرة فقال: انى أقرر بكل أمانة وصدق أنه ماتردد عن وجود شئ غير سليم بين فؤاد سراج الدين وبين السيدة الفاضلة حرم النحاس كذب فى كذب وافتراء

أقسم بذلـك واضع يدى على الانجيـل والقرآن والزابور. فلـم يكن بينهما سوء اطلاقا أو ما يخجل منه.

ولحظة صمت التقط فيها انفـاسه وعاد بصوت هادئ: ان مابينهما مسائل مالـية. فهى من عائلة كـريمة لها شوق إلى الثراء. وقـد التقط ذلك فؤاد فهو رجل ذكى وطموح. وكـان يرى ان الطريق العادي لن يحقق لـه طموحاته بالـسرعة المطلوبـة. وان ذلك سيستغـرق سنوات وسنوات. ولذلك فقد بـحث عن نقطة ضعف يستفيـد منها. ويحقق بها ما يسعي إليه. وهذه النقطة تمثلت فى أن عائلة النحاس باشا فقيرة ويسعوا لأن يكون أثرياء. ومن هنـا فقد عرض على زينب هانم شراء (٨٠) فدان مملوكـه لرجل الصناعة صبـحى الشوربجى وهو نسـيبهم أيضـا. فأشارت إليـه بأنها لاتمـلك نقـود كافية فـسألها عـن خاتم أو ماتملكه من مصوغات ذهبية. فأجـابت بأنها لاتملك غير خاتم الخطوبة الذى منحه لها النحاس باشا عند زواجـه منها. فطلب منها بيع الخاتم ويمكن اعتبـار ثمنه مقدم قيمـة الأرض واما البقية يمكن تـسديدها من ايرادات الأرض. وبالفعل تم ذلك فقد باع لـها الخاتم وكانت قيمة الـ ٨٠ فدان ٦٤٠٠ جنيه. سـددت قيمة بيع الخاتم كمـقدم ثمن. واما الباقى فقد حصل لها على قرض من البنك العقاري قام بضمانها فيه. ودفعت باقى الثمن. وبذلك تمكنـت من سداد قيمة الـ٨٠ فدان كلها من ايرادات الأرض وكانت تـدفعها كأقساط للبـنك. هى أرض جيدة فى منـطقة المرج وهى ذات الـعزبة الشهـيرة التى اعتـقل فيها مـحمد

نجيب رئيس الجمهورية الأسبق ولاشك انـها صفقة جيدة قد تمت قبل أحداث ٤ فبراير أى قبل تولى النحاس رئاسة الحكومة.

وعندما التقيـنا به فى قنا ضمن مرافقى النـحاس كان حضوره من أجل اتمام هذه الصفقة. واما موقف النحاس من ذلك أنه لايبالى بمثل هذه الأشياء ويعتبرها من صغائر الأمور. فزوجته قد اشترت أو باعت فلا يهمـه من ذلك الكثيـر. وخاصة أنها سيـدة صغيرة تسعـى لتأمين حياتها فـليكن. . هذا منطق الـنحاس ولاسيما ان تلك الـصفقة تمت وهو خارج الحكـم انما هى الوسيلـة التى أخذ بها فـؤاد سراج الدين لتـدفعه إلى المـقربين مـن النحاس بـاعتبار أنـه يقدم خـدمات لعائـلة النحاس بإخلاص.

وأضاف فـكرى مكـرم عبـيد موضـحا بقـوله: الحـقيقـة ان حرم النحاس بـاشا كانت مشوقـه للثروة. وكانت مـن عائلة كريمه. عـائلة الوكيـل. وهو من أمجـاد القوم ومن أكبـر العائلات. وكـان والدها المرحوم عـبدالواحد الـوكيل الذى أصبـح فيما بـعد باشا. وقـد فعل اسماعيل صدقى فيه ما أدى إلي خراب بيته. فكان يملك ١٥٠ فدان. وكان صـدقى يتعـقب الوفديـين ليدفـعهم إلى الـتدهور الاقتـصادى والاجتماعى والسياسى طالما أنهم متمسكين بعضوية حزب الوفد. وقد فعل ذلك فى بعضـهم حتى أفقرهم كمحمود بك عبـدالنبى ومحمود باشا الأتربى وفخرى عبدالنور فى الصعيد. وكل ذلك للضغط عليهم لترك حـزب الوفد الانضـمام لحزب الشعـب. ومن الذين وقـعوا فى

ذلك المرحوم عبدالواحد الوكيل حيث كبله بالديون حتى استغرقت أرضه بالدين. ثم يطالبه بدفع هذه الديون وبالطبع فانهم لايجدوا ما يسددوا به بالتالى يمكن بيع هذه الأراضى فى المزاد الى أن وصل الرجل لحالة الفقر من جراء اجراءات صدقى باشا وهو الرجل الكبير فى بلده. ولكنه الرجل الذى فقد أرضه نتيجة نضاله الوطنى. وبذلك فقد قاست زينب هانم ابنته شظف العيش فى الفترة الأخيرة من حياة والدها الذى رحل بهم إلى منطقة حدائق القبة بالقاهرة في منزل عادى لم يكن لديهم فيه تليفون.

وعندما تريد الاتصال هاتفيا فتضطر إلى استخدام تليفون البقال. وكانت من جراء هذه الحالة تشعر باستياء.

وأضاف محدثى مدللا على شغفها بتكوين ثروة ما جمع بينها وبينه وزوجته فى أسوان قبيل أحداث ٤ فبراير بأيام. حيث قام النحاس باشا للنوم فترة القيلولة. وتركها مع فكرى مكرم عبيد وزوجته يتجاذبان الحديث فى استراحة الفندق. فى أثناء ذلك قالت لمحدثى: شايف الباشا وأخوك عاملين ايه. يخشوا الوزارة أغنياء ويخرجون فقراء. شوف اسماعيل صدقى وشوف توفيق دوس يدخلوا فقراء ويخرجون اغنياء.

فرد عليها فكرى مكرم عبيد قائلا: يازينب هانم. رفعة الباشا (النحاس) والباشا أخويا (وليم مكرم عبيد) أقوياء. وعندهم من الثروة مالاتقاس باى مال فتساءلت باستنكار: وماهي هذه الثروة!!.

فأجابها بقوله: محبة الناس وموقـع النحاس باشا فى البلد والعالم كله.

فردت بلهجة تهكمية: كل هذا . أصرفه من أى بنك!!.

فى هذا يعلق فكري مكرم عبيد ويقول: وأعتقد ان كتاب مذكرات محمد حسنين هيكل باشا بـه من هذا الايضاح حول شخصـية زينب هانم من حيث حبها للمال.

وعلى أى الأحوال فـإن لكل منا نقـطة ضعف. فهي كـانت سيدة جميلـة وفاضلة ومخلصة لـزوجها وربة بيت ممتـازة. إنما فؤاد سراج الدين التـقط نقطة الضعـف هذه واستغلهـا ليصل بها إلى مـا يحقق طموحاته.

لحظة صمـت يرتشف بعضا من المـياه. ويعود مستطردا لـلحديث يقول: وبالفعل نجـح فى ذلك. حيث طلبت من النحاس بـاشا تعيينه فى منصب كبير والنحاس بدوره طلب من أخى تعيين فؤاد وزيرا. الا أن أخى انـزعج ورد علـيه باسـتحالـة ذلك. واستـند إلى ان هـناك شخصيات فى الحزب أقدم وأقدر من فؤاد. فماذا عن محمود سليمان غنام وعبدالحمـيد عبدالحق وأحمد حمزة ويوسـف الجندي وصبرى أبو علم وعبدالـفتاح الطويل. فكيف يعينـه وزيرا وهؤلاء في الدرجة الأولى بالحزب وهو فى الدرجة العـاشرة. وبعد نقاش وجدل وجدوا حلا وسطا حيث تم تعيينه وكيلا برلمانيا لوزارة الزراعة على أساس ان

فؤاد سراج يملك أرضا زراعية كبيرة ولـديه خبرة من زراعتها انما ذلك لم يرضي طموح فؤاد لأنه كان يطـمع فى أكثر من هذا. ولذلك فإن اعتراض أخـى على تعيـينه وزيرا كان أحد الأسـباب التى دفعـته فى المشـاركة في الـوقيعـة بين النـحاس وأخـى. وكذلك المـساهمـة فى الاطاحة به من الحـزب وطرده من الوزارة وفصله من الـبرلمان. ولم يدرك أحـد أن وليـم مكرم عبيد كان حريصا على وحدة وتمـاسـك الحزب ومنع انفراطه من جراء تقديم شخص على أخرين من الصف الأول للحزب لهم حق التقدير قبل فؤاد . الذى كان قد أصبح لصيق بالنحاس يعامله الأخير كأبنـه. ومن هنا أثيرت حفيظة فؤاد ازاء وليم مكرم عبيد الذى وجده عائق لتحقيـق طموحاته الشخصية سواء كانت حزبية أو سـياسية أو ماليـة. من هنا كان له مـصلحة للانضـمام الى المجمـوعة التـى تآمرت عـلى ازاحة أخي مـن موقعـه بحزب الـوفد والوزارة والبرلمان

وتوقف الرجل لحظـات. وهو يتمتم على السبحة بـين يديه. ينظر إلى الأفق البعيد. ويبدو عليه شـئ من التأثر . الا أننى لم أتركه في هذا اللحظات كثيرا وسألته بـقولى: لعل الحديث عن زينب هانم حرم النحاس يذكرنا بنموذج معاصر لحـرم الرئيس السادات السيدة جيهان. ومدى التـشابه أو الفرق بيـنهمـا من حـيث تدخلـــها فى شئـــون الحكم بـالنسبة لـزوج كلاهما. . وهل يمكـن ان تكون هناك مـقارنة بينهن؟؟!.

وعلى الفور خرج من تأملات صمته وقال: قصارى القول ان الشبه الوحيد أنهن سيدتين فاضلتين وعلى قدر كبير من الجمال.

واستدرك أيضا: لكن السيدة جيهان السادات لم يكن لديها ميول أو اتجاهات مالية اطلاقا. ولماذا؟! فلو أن السادات أراد السرقة والسيدة جيهان فخزائن الأرض مفتوحة. فلماذا يسرقون من مصر؟! ليس هناك مايدعو لذلك.

ثم أضاف قائلا: فى الزمن القديم قبل الثورة كانت المسائل المالية غير محدودة والذى يريد الثراء كان يمكنه ذلك. ولكن في العصر الحديث فمن أين يسرق؟!.

لم نسمع ان جيهان السادات عقدت صفقة بيع أو شراء وانما ما سمعته من مصادر كبيرة انها في الأونة الأخيرة عندما كانت في الولايات المتحدة لم تستطع تسديد فاتورة الفندق الذى كانت تنزل فيه. فليس لديها مال وفير. ولا أدافع عنها بقدر ما أذكر الحقيقة. كما أنها لم تتدخل فى شئون الحكم كما كانت تتدخل زينب هانم حتى أنه ذات مرة أثناء تشكيل وزارة. كانت ترحب بالدكتور زكى عبدالمتعال رحمه الله فقالت له: أهلا بوزير ماليتى. وهذه واقعة معروفة حينذاك. انما لم تتدخل السيدة جيهان السادات فى تشكيل الوزارة أو التعينات أو الترقيات وكانت منصرفة إلى العمل الاجتماعى وجمعية الوفاء والأمل وليس هناك أى دليل أو شبهة ازاءها. وليس من العدل اتهام أى شخصية فقد سبق وتردد أنها اشترت ثلاثينى سيارة مرسيدس وتبين أنها كانت واردة لبنك ناصر الاجتماعي.

والشئ بالشئ يذكر- كما يرى- كانت هناك أستاذة طب أطفال فى كلية الطب بجامعة عين شمس الذى كان يرأسها د.عبدالعزيز سليمان. وكان قد صدر لها قرارا من مجلس الكلية بترقيتها. لم يمانع مجلس الجامعة الا أن رئيسها د.عبدالعزيز سليمان اعترض على اصدار القرار. وكانت هذه الطبيبة عضوة فى الحزب الوطنى كما هو الحال بالنسبة لرئيس الجامعة عضوا بالحزب قد تقدمت بشكاوى لكل المسئولين منهم إلى مكتبى. وأشارت إلى أن رئيس الجامعة يعاملها معاملة جائرة. وعندما قرأت الشكوى طلبت الدكتور عبدالعزيز سليمان لمقابلتى وجاءني الرجل وذكرت له ان الأستاذة الطبيبة قد وزعت شكاوها إلى كل المسئولين حتى وصلت لى احداهما وقلت له انك فى حكم القاضى لطالما مجلس الكلية وافق على ترقيتها وكذلك مجلس الجامعة فلماذا تقف فى سبيلها؟! خاصة أنكم أعضاء بالحزب. فلا أقل انك تجاملها انما- أقل على الأقل لاتظلمها. فتحدث معى واشتكى منها خاصة من هذه الشكاوى التى وزعتها علي المسئولين فرجوته ان يتحقق من استحقاقها للترقيه وإذا كان لها حق فلتأخذه. الا أنه عندما أصدر مذكراته فقد تعرض لى بغير خير - الله يسامحه- وقال انني كنت فى هذا الموضوع أنفذ تعليمات السيدة جيهان السادات وهذا غير حقيقى. فاننى لا أعلم ان هناك معرفة أوصلة بينها وبين هذه الأستاذة انما الأخيرة قد بعثت بشكاوى لرئيس الوزراء ولى بصفتى أمين عام الحزب الوطنى وإلى وزير التعليم ورؤساء الجامعات

ووجدت أنه من واجبى عندما وصلتنى شكواها أن أحقق فيها وأرفع عنها الظلم وأعمل على لم شمل أعضاء الحزب. وللحق فإن السيدة جيهان لم تتحدث معى في هذا الموضوع سواء بأسلوب مباشر وغير مباشر.

وتوقف حديثه عند هذا. الا أنني حاولت ان أحثه على الاستمرار فسألته قائلا: فى الأسابيع الأخيرة قبل وفاة الرئيس السادات فقد كتب الدكتور محمد حلمى مراد مقالين أشار فيهما إلى ان الرئيس السادات يكلف زوجته للقيام بمهمات سياسية خارجية وان هذا التكليف غير دستورى. وان كنت أعلم ان ذلك أغضب الرئيس السادات. فما قولك فى هذا.

فأجاب على الفور ويبدو غضبه أيضا فى لهجته وقال: لوصح هذا فإن ذلك لايعد دستوريا. ولكن لماذا لم يذكر لنا ماهي هذه المهمات الخارجية فألى أين بعث بها! أعتقد أنه من السهل توجيه اتهامات بغير سند. فهل لو جاء لى شخص واتهم الدكتور محمد حلمى مراد بالرشوة فهل يجوز أن أصدقه دون سند حقيقى؟! إنما ماكتبه فهو مجرد قول مرسل أو تخمين وما أسهل ذلك.

وقد حاولت محاصرته فى حالة غضبه وسألته: ولكنها حاولت ان يكون لها دور سياسى بدليل عضويتها فى المجلس المحلى لمحافظة المنوفية ثم رئاستها لذلك المجلس!.

وقد أجاب أيضــا وهو فى حالته هذه انمــا لـم يفقد المنــطق والحجة والشجاعــة فى حديثه فقال: شــوف لو عايز رأيي. فإن الأمر يــنقسم إلى جانبين. أولهما أن ذلك حق كل مواطن. إنما الجانب الأخر وهو شخصي فإننــى لم أكن مرتاح لهذا لأن دخول السيدة جيهان بوقارها واحترامها في معــترك سياسى ولو كان محليا يمكــن ان يعرضها لحرج أو رزاز سياسى. إنمــا ذلك أيضا لايقدح فى ســلامة تصرفاتهــا العامة ولا فى نزاهتها ولافى اخلاصها لبلدهــا وخدمتها من خلال عضويتها أو رئاستها للمجلس المحلى. وإن كان ذلك قد اختلف فيه الرأى.

الا أنه عاد وأكــد رأيه الشخصى فــى وجود المرأة فى العمــل العام وقال: انني «دقة قديمه» وعندما تحدثــت فى مجلس الشورى وطالبت ببــقاء الســيدات فى بــيوتهن فــلم أخرج عــن الجدة. ولم أكــن ضد السيدات العاملات بل ان بعضهن من ذوي العناصر الجيدة وإنما أقصد أنهن يتركوا المجال لعمل الشباب الذى يسعى لفرصه. كما انني أفضل وظيفة الأم والزوجة للمرأة فالأمومة وظيفة كبيرة جدا تؤجر عليها فى الشرع والقانون.

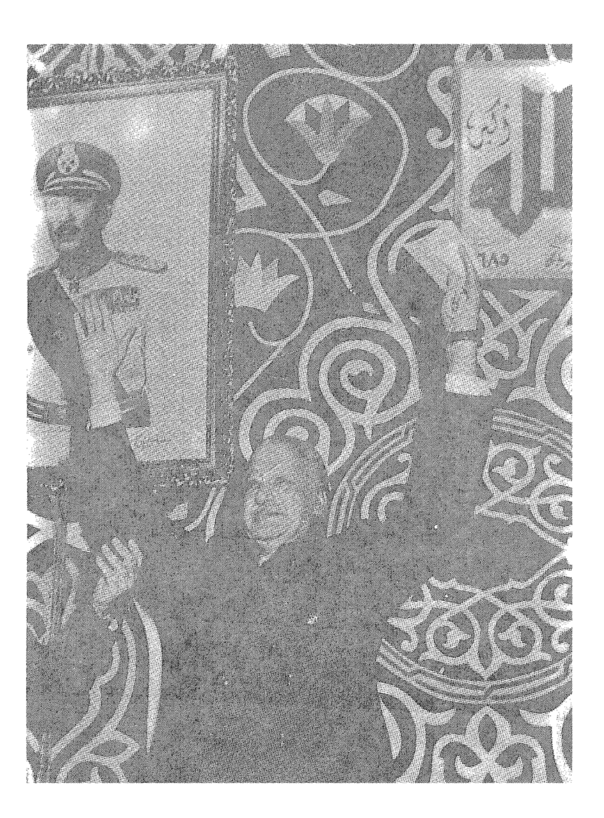
ومازلت فى الحديث عن السيدة جيــهان السادات فقلت له: ولكن ألا ترى أيضا انها قد شاركت أو ساهمت فى تطور برلمانى منذ سنوات عندما صــدر تعديل فى قانون الانتخــابات يحدد ثلاثة وثلاثــين مقعداً للــمرأة فى كــافة المحافــظات ثم عدل عــن ذلك فيــما بعــد لمخالفــة الدستورية وبذلك كان لها تأثير على الرئيس السادات ولاسيما ان هذا

التعديل صدر بقرار جمهورى بقانون وليس بقانون من مجلس الشعب حيث أنه كانت تجرى أبانها انتخابات برلمانية؟؟.

بعد تنهيدة قصيرة أجاب بقوله: ان السيدة جيهان السادات قد باركت هذا التعديل فى القانون. ولكنها تركت المبادأة لبعض السيدات الفضليات كالدكتورة سهير القلماوى والدكتورة أمال عثمان. وكانت تسعى لأن يكون لها دور ريادى مؤثر بالنسبة لتطوير أو تعديل أو تقدم وضع المرأة فى المجتمع وبذلك يكون لها ريادة كريادة السيدة هدى شعرواى. وكانت بذلك تحاول دفع المرأة إلى المشاركة في العمل السياسى. وذلك بانتخابها فى البرلمان وحصولها على مقاعد مناسبة. إلا أن الواقع ان السيدة التى تخوض ذلك فانها تخوضه بصعوبة شديدة. وكانت محاولتها تبدأ من اقناع الرجال بذلك. الا أن الكثيرين منهم- وقد أتهم واننى منهم- وان كنت ليس ضد عمل المرأة انما أرى ان درها العظيم فى كونها أم وزوجه. وهذا دور عظيم . لازلت أصر على رأيى بأن دور الزوجه أقوى من كونها طبيبة أو محامية أو مهندسة. انما التعديل الذى جري بتحديد دوائر محددة لانتخاب المرأة. كان مقيدا للجماهير وهي مضطره لانتخابهن فى هذه الدوائر والمفاضلة بينهن أيضا فى الدائرة الواحدة وكانت السيدة جيهان مقتنعه بأن على المرأة دور فى المشاركة الوطنية الممثل فى الدور السياسى. لاشك انها كانت مؤثرة فى ذلك. ولعلها الحالة الوحيدة التى أثرت فيها على الرئيس السادات وأقنعته بهذا فأصدر القرار بتعديل ومع ذلك فإذا لم يقتنع فإنه ما كان يصدر هذا القرار.

فقلت له: اذن فهل صحيح ان تعديل قانون الأحوال الشخصية الذى صدر أيضا فى أواخر حكم السادات كان قانون جيهان كما تردد ذلك؟؟.

أجاب وقد تجاهل تسمية القانون وقال: ان هذا التعديل له ماله وعليه ما عليه. انما قد جعل للمرأة مكانة متميزة. وان خالف كثير من المذاهب وطرحها وأخذ بمذهب الأقلية. فالجمهور من الفقهاء ضد هذا القانون وهذا لايعنى أنه مخالف للشريعة الإسلامية. لأن فيه أراء محترمة جدا وان أخذ برأى الأقلية فإن ذلك لايعيبه طالما أنه يسعى لاصلاح معين وتأخذ برأى الأقلية من أجل هذا الإصلاح فى ظروف معينه وطالما انه غير مخالف لجوهر الشريعة الإسلامية . ولهذا فلا يمكن ان يهاجم القانون على اطلاقه أو يدافع عنه اطلاقا أيضا. انما لوحظ ان به مسائل مبالغ فيها. وعلى كل هناك الأن استقرار فى أحكام القضاء حيث تصدر عقلانية وليست انفعالية من باب الاجتهاد.



الفصل الثالث:

فكرى مكرم عبيد وبدايات مشواره السياسى

- فكرى مكرم عبيد من مؤسسى اللجنة التنفيذية العليا للطلبه عام ١٩٣٥.
- أنور السادات يرفض الشيكولاته لحساسيته الشديدة لكرامته.
- عرفت أنور السادات أثناء محاكمته فى عام ١٩٤٢.
- أيدنى وشجعنى الأخوان المسلمين فى انتخابات ١٩٥٨ ولكنهم قالوا اننى شيوعى.
- لماذا اختارنى السادات أول أمين عام للحزب الحاكم.
- لماذا وافق السادات على عودة حزب الوفد.

لاشك ان رجـل مثل فكـرى مكرم عـبيد قـد نشأ فى بـيئة عـلى مستوى القـمة الحزبية والسياسيـة مع أخيه الأكبر وليم مـكرم عبيد. وقد تأثر به فكرا وسلوكا ووجدانا. ان كان طوال ملازمته له سنوات طويلة أصبح شاهدا على أحداث ووقائع تاريخية كبرى.

اذن فالتـساؤلات التى تـدور حول نشأته ووجـوده فى هذه البـيئة السياسـية يمكن ان تكون كـالآتى: هل انضم لحزب الـوفد الذى كان أخيه رجـله الثانـى؟ هل تأثره به دفـعه إلى ممارسـة النضال الـوطنى والعمل السيـاسى أثناء الاحتلال الانجليزى لمصـر قبل الثورة؟. وهل استمر فـى العمل السياسى بـعدها ولماذا توقف حتى اخـتير أول أمين عام للحزب الوطنى الديمقراطى الذى أسسه السادات؟.

وهل كان على عـلاقة أو صداقة بالرئيس السادات ومـاذا عن تأثير الأخير عليه فى مشواره السياسى؟!.

قد طرحت عليـه هذه التساؤلات. وبدت عليه علـى الفور سمات البهجة وكأننى أيقظت فيه مشـاعر جميله. فاقترب برأسه للأمام وقال بصوت باسم: كـانت التيارات السياسـية الرئيسية فى الجـامعة اما ان تكون وفدى أو مـن الأحرار الدستوريين أو الـشيوعية. واننـى كنت بطبـيعة الحال انتـمى للوفد دون أن أكـون عضوا فيه. وان كـنت لم

أتمكن من ممارسة العمل السياسى بطريقة كبيرة واضحة الا أنني كنت عضوا فى اللجنة التنفيذية العليا للطلبه فى عام ١٩٣٥ والتى كانت لها دور فى الحركة الوطنية العظيمه فى ذلك الوقت.

فقد قمنا - بعض الطلبه- بتأسيس هذه اللجنة. تضم ممثلين من الكليات الجامعية المختلفة ومنهم: الشيخ محمد حسن الباقورى عن كلية أصول الدين ومن الطب الدكاتره نور الدين طراف وحنا مرقص ورشوا فهمى ومن كلية الهندسة جلال الدين الحمامصي ومحمود يونس ومن كلية العلوم محمود لاشين وعن دار العلوم محمود الشافعي ومن كلية الزراعة أحمد الدمرداشى التوني وعبدالسلام حسن وكانت ملحقة باللجنة العليا لجنة خاصة بالمدارس الثانوية من ضمن أعضائها جمال عبدالناصر. حتى انني عندما التقيت به بعد قيام الثورة وكان رئيسا للوزراء ولم يكن بعد رئيسا للجمهورية قد بادرنى قائلا: أنت مش فاكرنى. فقلت له : أسف فالحقيقه لا أذكرك. فقال: كنت وفريد زعلوك وابراهيم بغازى ممثلين عن كلية الحقوق. وكنا نجتمع فى النادى السعدى وكنت ممثلا لمدرسة النهضة الثانوية الأهلية بالعباسية. . وتذكرته على الفور وقد واكب تأسيس هذه اللجنة العليا اختلاف شديد بين الأحزاب والسياسيين قبل مفاوضات معاهدة ١٩٣٦. وكان الخلاف حول ما إذا كان الدستور يسبق الاستقلال أم ان الاستقلال يسبق الدستور؟.

فكان الوفد يرى ان الدستور لابد ان يعود . المقصود دستور عام

١٩٢٣ حيث كـان المطبق فى حـينه دستـور صدقى باشا الـذى مسخ البرلمان.

واما المعارضين فكانوا يروا اننا ليس لنا كيان ويمكن بعد الاستقلال ان يعود الدستور. كان ذلك ابان رئاسة توفيق نسيم باشا للوزارة.

أثناء هذه المناقشات الساخنة. أطلق وزير خارجية انجلتر السيد هور تصريحا فـى البرلمان النبريطانـى قال فيه: ان مصر لاتستـحق استقلال ولادستور ولابد من بـقاء الاحتلال عشرة سنوات أخـرى حتى تكون فى مصر كوادر تستطيع ان تقوم بالحكم الدستورى.

وعلى الفور أطلـق هذا التصريح ثورة غاضبة فـى مصر. وخاصة بين الطـلبة وخرجت المـظاهرات تردد شعـار: يسقط هور ابـن الثور «وكان ذلك فى ١٣ نـوفمبر عام ١٩٣٥ وكان يـعتبر عيد الجـهاد عند المصريين لأنه ذات اليوم الذى تولى الوفد برئاسة سعد زغلول فى عام ١٩١٩ الثورة ضد الانجليز.

ويستطرد محدثى بقوله: وقد خرج جميع الطلبه حتى انه لم يكن بالجامعة طالب واحد كذلك المدارس الثانوية. واتجهنا إلى بيت الأمة- منزل سعد زغلـول عن طريق كوبرى عباس. الا أننا فوجـئنا بمواجهة رصاص من الكونستابلات الانجليز. وقـد وصلنا إلى نهاية الكوبرى. وكأنى أشعـر أن كل الرصاصات موجهـه لى شخصيا فـعدت راكضا- ولا أخجـل من ذلك- ثـم قمت بالجـرى إلى إن وصلـت منتـصف الكوبرى لاهثا وكـدت أفقد قدرتى على الاستمرار وفـى هذه اللحظة

كان أصدقائى جلال الدين الحمامصى وفريد زغلوك ومحمود راغب فى سيارة صغيرة ماركة أوستنى سيفن قد شاهدونى ونادونى فركبت معهم ودارت السيارة نحو الجيزة.

وأضاف قائلاً: وكانت لهذه اللجنة نشاط كبير وكل مقرره كان محل ترحيب وطاعة من الطلبة. فعندما تقرر اللجنة اضراب الطلبة فى يوم معين يلتزم الطلبة بذلك. وعندما تقرر منع الاضراب فى يوم محدد فالطلبة تلتزم أيضا بقرارها. وكانت قراراتها ملزمة على مستوى طلبة الجامعات والمدارس الثانوية. واما عن مناقشاتها فكانت جادة وعلى مستوى عال. فقد طرح بها قضية الخلاف الحزبيه عن أيهما أسبق هل الدستور أم الاستقلال. كانت مناقشاتها ساخنة ووطنيه وممتازة وتحدوها محبة مصر ويدرك كل منا ان قصد كل عضو هو خير مصر.

الا أن فكرى مكرم عبيد قد توقف لحظات تأمل ثم عاد وقد تذكر حلقة من مشوار نضاله السياسى. فقال: وكنت وفريد زغلول والدكتورة سهير القلماوى قد أصدرنا مجلة اسمها «الشعلة». فقد بحثنا عن مجلة حيث كان لابد من وجود رخصة به فوجدنا مجلة ملك توفيق حبيب وكان مشهورا باسم «الصحفى العجوز» فاشترينا منه الترخيص بثلاثين جنيها واشتركنا فى تمويلها الذى وصل إلى ٦٠٠ جنيها. وكنا لانملك هذا المبلغ فاقترضناه من البنك. وكانت المجلة قد غيرنا اسمها من فرعون إلى الشعلة وقد اختار هذا الاسم

الأخير السيدة سوزان حرم الدكتور طـه حسين وقد حرر فيـها أسماء لامعـه كالدكـتور محـمد حسـنين مخـلوف والدكـتور رياض شـمس والمرحوم محـمد سليمان غنـام. واستمرت المجلة فى الـصدور حتى أفلسنا وضاعت علينا الفلوس وأضطررنا إلى سداد أقساط البنك لعدة شهور.

وعنـدما توقـف ضاحكـا من ذكريـاته هذه وحـالة الأفلاس الـتى أصابته أصدقاءه سـألته عما اذا كان قد تعارف علـى السادات فى تلك الأونة خاصة ان عبدالناصر كان عضوا فى اللـجنة التنفيذية العليا وان كنت أعرف ان علاقتهم قد بدأت قبل الثورة انما تحذيد ذلك كان يجب ان يذكره لنتعرف على مسيرة مشواره السياسى منذ تعارف عليه.

فأجاب و مازال يـضحك بهدوء: عندمـا تعرفت عليـه فى مدرسة فؤاد الأول الثانوية. تـصورت أنه صعيدى مثلى. عنـدما سألته ذلك أجاب بأنـه ليس صعـيدى وإنما من بلـد فى المنوفيـة اسمها مـيت أبو الكوم ومن يومها رسخ فى ذهنى اسم بلدته.

ثم استطرد وبلهـجة الأعجاب قال: لقد تزاملنا فى فـريق الكشافة بالمـدرسة وكنت رئـيسا للـفريق. وكان يـبدو شديد الاعـتزار بنفـسه ويحـترم ذاته جـدا. وان كان من عائـلة فقـيرة الا ان ذلك كـان من دواعى فـخره فليـس هناك عيـب فى الفـقر كما أشـار لذلك محـمد حسنين هيكل فى كتاب له من حيث ان والدته سودانية ووالده فقير. انما كان ذلك فخره وفخرنا جميعا - يـعتز بكرامته بشدة. يرتدى بدلة

واحدة كل يـوم ولايغيرها انما كـانت مهندمـة ونظيفة وكنـت اندهش لذلـك ورغم أنه كان صـبى صغـير انما حريـص على هـندامه نظـافة ملابسه بصورة تلفت الأنظار.

وكان وطنيا متحـسما. جاد لايميل إلى التهريج واللـعب كما يهوى أقرانه في هـذه السن المبكرة. كان يزامـلنا أيضا المهندس سـيد مرعى وان كنت أكبر من الـسادات بعامين وبذلك فاننى أسـبقه فى الدراسة كذلـك عامين. ولـديه الأنفـة والاعتزاز بـالنـفس والكـبرياء. حـتى لاحظت أنه يعرض ولا يأخذ قطعة شـيكلاته من أى زميل له وكانت الشيكولاته فرايـز «الانجليزية ممتازة وثمنها قرش فـقط. فسألته لماذا لا تأخذ مـنها عنـدما يدعك أحد الـزملاء لذلك. فـهل لاتحبهـا فأجاب بالعكس فاننى أحبها فأندهـشت وسألته: اذن لماذا لاتحصل على قطعة وتعرض عنها؟.

فأجابنى بأنـه لايستطيع ذلك لأنه لايملك ردها أورد ما يـقابلها من حلوى أخرى.. ولهذه الدرجة كان لديه حساسية شديدة لكرامته. قد بدأت علاقتى بـه كزميل دراسة فى تلك الأونة. وقـد تركت المدرسة عام ١٩٣٢ لكـن بعد مرور عـشرة سنوات التـقيت به داخـل قفص الاتهام وانا خـارجه بقاعة المحكـمة فى عام ١٩٤٢ وكان لقـاءنا حار لشوق هذه الـسنوات. وكان أخى وليم مـكرم عبيد موكل عـن زميله المتهم سـعيد توفيق أخو حـسين توفيق والذى صدر ضـده الحكم ثم توفى. وكان ضمن المتهمين أيضا مـحمد ابراهيم كامل وزير الخارجية

فيمـا بعد وكذلك ابـن المرحوم على جيشه وابن المرحوم عـلى مراد وكانوا أقـارب ومعهم الـسادات. وكان ذلك فى قـضية اغتـيال أمين عثمان. والعنـصر المخطط والمدبر هو أنور السادات وامـا المنفذ فكان سعيد تـوفيق. وكنت فى أغلـب الأحوال أحضر الجلسات نـيابة عن أخى فى استـجواب الشهود والأقوال التى أدلـيت للنيابة الـعامة وأما فى المرافعة فقد حرص أخى على حضورها والتحدث فيها.

وعندما اسـتجوبناه أثناء المحاكـمة تحدث عن نفسه بـصورة رائعة. فلـم ينكر الـتهمـة بطريقـة مباشرة. انمـا كان ينـاقش أقوال الشـهود دوندونالتطرق لانكار الواقعة ذاتـها. وكانت هذه من علامات اعتزازه بكرامته وبنفـسه. كانت محاكمة قوية ومحتـرمة جدا وحازت اعجاب وتعاطف الرأى العـام. واعتقل فى معتقل الزيتون ثـم فى المنيا وكان معه جـلال الدين الحمامـصى وقاسم جـوده وأحمد حسن الـباقورى وموسى صبرى ويوسف صلاح الدين.

ثم صـمت لحظات. فـسألته عـن حقيقـة أمين هذا ومادار حـوله وماهى دوافع اغتياله السياسية؟؟.

أجاب بقوله: فعلا من الأهمية ذلك. فقـد تعلم فى كلية فيكتوريا وتزوج من فتاة انجليزية من عائلة أقل من المتوسط. انما بذلك الزواج سعى للـتوصل لتوثيق عـلاقته بالانجليـز وخاصة انه تعلم الانجـليزية بدرجة جيدة فى الكلية المشار اليها. كان له خاصية غريبه. فهو عندما يلتقـى بالانجليز يدعى ان كـلمته نافذة عنـد المصريين. وعندما يـلتقى

بهولاء يزعم ان كلمته نافذة عند الانجليز بذلك كان سمسار سياسة. وقد بدأ كمدير لمكتب وليم مكرم عبيد وزير المالية ثم مفتش وعندما تكون وفد المفاوضات عام ١٩٣٦ ضم للوفد كسكرتير كأحد الذين يجيدون الانجليزية. وكأحد الشخصيات ذات الصلة الوثيقة بالانجليز وكان مطلبا فى هذه المرحلة كهمزة وصل بين المسئولين المصريين والانجليز ومن هنا نشأت صلة بينه وبين النحاس باشا الذى حاول استخدامه. الا أن هذه الصلة أساءت للبلد كثيرا. لأنه تحول من همزة وصل إلى مخلب قط للانجليز يساعدهم فى الاستيلاء على مقدرات الوطن. بل كون جمعية اسمها الاتحاد المصرى - الانجليزى فى الزمالك وخطب فى افتتاحة خطبة شهيرة قال فيها: انه بين مصر وانجلتر زواج كاثوليكى لاطلاق فيه. ثم أنعمت عليه انجلتر بلقب سير وأصبحت زوجته ليدى عثمان.

وقد لعب دور فى التباعد بين أخى والنحاس باشا وكان ضمن المجموعة التى شاركت فى هذا مشاركة فعالة. وقد باع نفسه للانجليز تماما.

ولذلك عندما اغتيل أمين عثمان. اكتسب المتهمين فى القضية شعبية كبيرة بين الرأى العام المصرى. تصدوا للدفاع عنهم بعض المحامين مجانا ويمكن الجزم بأن شعبية انور السادات بدأت منذ هذة القضية.

وبعد انتهاء هذه القضية تقطعت وسائل الاتصال ومضى كل فى طريقة الا أن سمعت صوته فى الراديو فجر يوم ٢٣ يوليو عندما

أعلن قيام الثورة وقد سمعت بيانه بالصدفه عندما كنت فى طريقى من مصـر الجديدة الى الـفندق الـذى نزلت فـيه أثناء غـياب أسرتـى فى الأسكندرية. قد لاحظت من داخل سيارتى ان الطرق مغلقه والجيش في الشارع. أدرت الراديو محاولا استطلاع الأمر فسمعت البلاغ رقم واحد. وعندما سمعت صوت أنور السادات هو يلقى البلاغ تشككت فى اننـى أعرف هذا الصوت حـتى تأكدت مـن ذلك مع انتهـاء القاء البـلاغ. ثم عدنا مـرة أخري للـقاء حيث كـلفنـا من هيـئة التحـرير أولتنظيم سياسى بعد الثورة بالسـفر الى محافظة قنا للدعوة - سويا- الى مساندة الثورة وتأييد هيئة التحرير.

ثم أضاف مضـيفى بقوله: وقد حاولـت المشاركة السياسيـة عندما حانت فرصة انتخابات فى أول برلمان بعد الثورة. وكانت هذه الفرصة فى انتخابات تكميلية عام ١٩٥٨ حيث عين الدكتور عبدالرازق صدقى عضو البرلمان فى مـنظمة الفا وبالأمم المتحدة وبالتـالى أخليت الدائرة الانتخابية. ومن ثم قررت أن أخوض الانـتخابات فى حى شبرا وكان منافـسى أحد كبار تجـار الغلال من سـوق روض الفرج اسمه مـحمد بركـات. الا أننى اكـتشفـت ان الحكـومة تحاربـنى وضدى فـى هذه الانتخابات. ربما يدهشك أنك تعرف ان الذى كان يؤازرنى ويشجعنى هم الأخـوان المسلمـين وكانت مجـموعة كبـيرة منهـم تساندنـى فى الدعايـة فقد توسموا فـى شخصى المتواضـع الوطنية والخيـر وكذلك بعض الشيوعيين وقفوا معى. وبالطبع لا أستطيع أن أرفض ذلك لأن الانتخابـات فى حاجة الى مسـاندة ومؤازرة وتشجيـع من أى طرف.

وفى أول جولة انـتخابية حصـلت على ٥٠٪ من الأصوات وبـالتالى كان لابد من الاعادة لأحصل على هذا الـنصيب مرة أخرى بالاضافة إلى واحـد أو أكثـر من الأصوات. الا أن مـنافسـى رجل ثـرى جدا فاستخدم المال سلاحا فى الانتخابات ويبدو ان هذا السلاح ماضى فى الانتـخابات ولكـن ذلك فى المـدن فقط ولـيس فى الأرياف والـقرى فالمعايير مختلفة هنـاك لأن الناجح هناك يحصل على ألاف الأصوات أما فى المدن فيمـكن ان يفوز بأقل الأصوات والتى يمكـن الا تتجاوز ألفين أو ثلاثة ألاف صـوت. وقد خسرت انتخابات الاعـادة بأقل من خمسين صوت.

وبعد انتهاء الانـتخابات. وكنت صديقا لصلاح الـدسوقى محافظ القاهرة فيما بعد وعبداللطيـف البغدادى. وسألتهم عن أسباب موقف الحكومة ضدى فـى الانتخابات. وجاء ردهم غريبـا حيث أشاروا إلى ان هناك البـعض قد توصل إلى اقـناع الهيئة الحـاكمة بأننى شـيوعى خاصة ان سندهم فـى ذلك ان مجموعة من الشيوعـيين كانت تآزرك فى الانتـخابات وقد ساروا معـك فى أثناء حملـة الدعاية الانتخـابية وبذلك ترددت شائعة حول سمعتك كرجل شيوعى. وكان ردى على ذلك كيـف يتصور اننـى شيوعى. فـقد ورثت عن والدى - بـفضل الله- ثروة محترمـة فوق المائة فدان. فكيف يتفق ذلك مـع الشيوعية حتى مـن الجانب الإنسـانى. وإذا ما أيدنـى أقصى اليـمينى وأقـصى اليـسار فلا يمـكن أرفض ذلـك، فقـيل لى : هـذا ماحدث وبـعد ٦ ساعات حل المجلس.

واستطرد بقوله: وقد ابتعدت فى مـكتبى لأمارس مهنتى المحاماة.

بعيدا عن إرهاق الانتخابات ورذاذها ومـناوراتها. وأكتفيت بأن تكون صلتى بالـسياسة عن طريق مطالعـة الصحافة. وكنت التقـي بالرئيس السادات أحيانا فى مناسبات اجتماعية. إلى أن كان عام ١٩٧٥ قابلنى المهندس سيد مرعـى وبادرنى متساءلاً: لماذا أنت متباعد فـأجبته بأننى فى مكتـبى وعملى وسفرى لبـلدى لألتقى بأقاربى وأصـدقائى وأهل بلدى فى قنا. واننى رئيس المجلس الأعلى لرابطة أبناء قنا فرد بقوله: لا. . ده الريس السادات يتساءل لماذا أنت متباعد عننا.

وبعد يـومين من هذا اللـقاء جاءنى تلـيفون ليـخبرنى محـدثا بأن الرئـيس السادات يـريد التـحدث معـى. فسعدت بـذلك ورحبـت به كرئيس جمهوريـة. وطلب منى الحضور لمقابلته فى الـقناطر الخيرية. وذهبت إليه. فبـادرنى بقوله: انا زعلان منك فسألتـه عن السبب فرد قائلا: لأنك بصـفاتك ومحبتك ووطنيـتك وكفاءتك متباعـد عننا هل هناك ما أغـضبك. فنفيت ذلـك تماما. فرد قائلا: طـيب أنا أصدرت قرار بتعينك عضو فى مجلس الشعب. فشكرته وانصرفت.

وفى ذات العام كانت المنابر قد تكونت . منبر الوسط ومنبر اليسار ومنبر اليمين. وفى العام التالى تحـول منبر اليمينى إلى حزب الأحرار الاشتراكيين فـاتصل بى مصطفى كامل مـراد رئيس الحزب . وعرض علـى أن أكون مع الدكـتور المرحـوم أحمد سـيد درويش نوابـا له . فوافـقت. ومـن هنـا فقـد عاودت مشـوارى السـياسـى من مـوقع المعارضة.

وقد قاطـعته قائـلا: وان كنت قد عاودت مـشوارك السيـاسى من

موقع المعارضة. فاعتقد انه كان لك دور فى تشكيل حزب معارض أخر وهو حزب العمل الاشتراكى برئاسة المهندس ابراهيم شكرى.. فكيف حدث ذلك

فأجاب يقول: عندما تقرر اقامة الحزب الوطنى الديمقراطى. فإن أعضاء مجلس الشعب من الحزب قد انسحبوا من حزب مصر. وفى تلك الأونة كتب مصطفى أمين أنهم هرولوا. وقد غضب السادات من ذلك وانني قد اختلفت معه أيضا فى تعبيره. لأنهم هرولوا عن يقين. وهو رئاسة انور السادات للحزب الجديد وهو يمثل لهم المثل الأعلى للوطنية والكرامة فى الحق وكل المعانى الطيبة. فقد هرولواللخير وليس كقطيع أو جماعة من البلهاء. هرولوا عن ادراك وعلم عما يفعلونه ومن حق. الا أن مصطفى أمين- عودنا- على ان يكون مخالفا أى تحقيقا للمثل القائل: خالف تعرف.

كما انضم الينا من السكرتارية العامة لحزب مصر فؤاد محى الدين ومحمد حامد محمود الا أن محمود أبو وافيه السكرتير الثالث لحزب مصر قد تردد وهو صهر الرئيس فحسم تردده وأشار إليه بأن ينضم إلى المهندس ابراهيم شكرى الذى يسعى لتكوين حزب. وكان الرئيس السادات متحمسا لتشكيل ابراهيم شكرى لحزب العمل المعارض. وقد دعانى لمقابلته وطلب منى تقوية هذا الحزب المعارض. حتى تكون هناك معارضة.. رأى آخر.

واستدرك محدثى قائلا: وكان قانون الأحزاب يستلزم لتشكيل حزب ان يكون من بين مؤسسيه عشرين من أعضاء مجلس الشعب.

وطلب مني الرئيس السادات دفع أو دعوة بعض الأعضاء للانضمام لحزب العمل وتأسيسه. وفي تلك الأونة كان لدى ابراهيم شكرى خمسة أعضاء. وأشرت إلى أن هذه عقبة. فكلفنى الرئيس السادات بمهمة استكمال العدد وحملنى مسئولية هذا. وحاولت وسعيت بالاقناع للاعضاء بالانضمام ومارست بعض الضغوط الودية لضم بعض الأعضاء لحزب العمل حتى ان بعضهم اندهش لذلك وتساءل:

أنتم زعلانين منى ولا ايه. انا عملت حاجة! حتى نجحت فى استكمال العدد الى اثنى عشرة عضوا فقط. وعرضت الأمر على الرئيس السادات فطلب منى الدعوة لاجتماع الهيئة البرلمانية للحزب الوطنى فى مبنى مجمع مجلس الشعب ودعوة موثق الشهر العقارى للسيدة زينب. وبالفعل تم ذلك. وفى هذا الاجتماع طلب الرئيس السادات من الموثق فتح محضر محتواه: نحن الموقعين جميعا قد قمنا بتأسيس حزب العمل الاشتراكى.

ثم وقعنا وبلغ عددنا ٢٥٠ عضوا. وبذلك تكون حزب العمل المعارض من بطن الحزب الوطنى. فإذا كان ابراهيم شكرى من المؤسسين فاننى من أوائل مؤسسى هذا الحزب المعارض أيضا.

ولكننى سألته: هل الرئيس السادات ه الذى كلف ابراهيم شكرى باقامة حزب العمل أم أن ابراهيم شكرى ه الذى بادر بهذا السعى؟

لحظات صمت. وروية ثم تحدث قائلا: أذكر انه فى يوم كنت سألتقى بالرئيس السادات فى المعمورة بالأسكندرية. وكنت على

وشك الدخول إلى القصر فرأيت المهندس ابراهيم شكرى يتأهب للخروج من البوابة. فتبادلنا التحية لبعض من بعيد حيث كان كل منا فى سيارته. وعندما وصلت للرئيس السادات. فقلت له انني رأيت ابراهيم شكرى يخرج من القصر. فعلق بقوله: انه سيقيم حزب للمعارضة.

فهل هو الذى كلفه أم انه طلب من الرئيس ذلك. فالله أعلم بذلك.

وأضاف فكرى مكرم عبيد بقوله: وعندما تأسس الحزب وأصبح له كيانه وابراهيم شكرى رئيسه. وقد وقعت معاهدة كامب ديفيد. فقد دعاه الدكتور مصطفى خليل رئيس الوزراء حينذاك. مع حضور اللواء حسن أبو سعده رئيس هيئة العمليات فى ذلك الحين لمجلس الوزراء وقد جلس بجوارى وشارك فى نقاش حسن أبو سعده عن اجراءات الانسحاب الإسرائيلى من سيناء وتحريرها وكان أكثر الحاضرين نقاشا حتى اقتنع تماما بسلامة موقف السادات ومقتنعا وذهبنا إلى مجلس الشعب وقد دافع إبراهيم شكرى عن المعاهدة وتحدث عن ايجابياتها. ثم بعد سنوات تحول إلى ضدها لسبب غير مفهوم.

ولكنني استطرادا حول مفهوم المعارضة لدى السادات وحماسة لتشكيل أحزاب معارضة تعدو من روافد ثورة يوليو كحزب الأحرار وحزب التجمع فهل كان السادات يسعى لصناعة معارضة بشكل معين أو معارضة محدودة أو مستأنسه أم معارضة يمكن السيطرة عليها أو توجيهها وخاصة ان الناصريين قد رددوا ذلك فى بعض المناسبات؟!.

أجاب علي الفور بقوله: ان الناصريين أخر من يتحدثون فى هذا. فالذى لاشك فيه أنه عقب ثرة يولـيو ١٩٥٢ كانت الجماهير فى حالة ذهول سياسى لاتدرى شيئا عن توجه الدولـة ازاء التنظيمات السياسيه خاصة تنظيمات هيئة التـحرير والاتحاد الاشتراكي والاتحاد الاشتراكى وكانت هناك غيوم حولها. فهل هذه تنظيمات ديمقراطية. أم رئاسية أم ماذا؟! واستمر هذا الواقع إلى ان توفى الرئيس عبدالناصر. ومازالت الناس لاتـدرك من الأمر حقـيقته. وفـى ذات الوقت كان الـناس قد قاست قبل الثـورة من الاحزاب وما أحدثته من اخلال فظـيع فالناس حائرة بين الأحزاب والملك والحكومة. وتنظر حولها بحثا عمن ينقذها من الحيرة ولما جاءت الثورة. تصوروا انهـا ستكون لهم انقاذ من كل هذا.

ثم صمت لحظات مفكرا ثم عـاد وقال: اعتقد ان الناس كانت في حالة اشبه بالمريض من قبل الثـورة وحتى وفاة عبدالناصر. وكان هذا المريـض فى حاجة إلـى مجمـوعة أطباء «كـونسولـتو» الا أنه اكتـفى بطبيب احد فرض دواءه عليه وهذا ماحدث.

الا أن جاء الرئـيس السادات ورأى اسـتحالة اسـتمرار هذه الحـالة المرضيـة لأنها ضد طـبيعة الأمور ومـنطق الحياة. فـالله خلـق الناس مختلـفين تفكيرا وعـقلا وعملا. وخلق الإنـسان بعينين ولـيس عين واحدة ولذلك فـلا يمكن ان يصاغ النـاس فى قالب واحد تخـضع له جميـعها وانما لابـد ان تكون هناك اراء مـختلفـة طالما يقـصدون إلى

الخير. فالمسألة ليست تنافر بل تضافروان اختلفت الرؤى ومن هنا بدأ السادات بفتح الأبواب فى غرفة مغلقة ولابد ان نفتح له النوافذ حتى يستطيع المريـض التنفس فى جو متجدد وان كان قد تـدرج فى فتحها حتى يتمكن المريض من التنفس بطريقة تدريجية لأنه لو فتح الأبواب على مصراعيها فربما يصاب المريـض بنزلة برد شديدة أو نزلة شعبية أو مرض أخر كالفوضـي التى تعود إلي ما كانت علـيه قبل ثورة ١٩٥٢ وبذلك يكون الحال أسود مما مضى.

وأضاف محدثى بقـوله: ولذلك بدأ الرئيس السادات بـفكرة المنابر لأنه رأى ان الأتجاهات السياسية اما ان تكون يمينية أو يسارية أو وسط فاليمين قد تمثل في منبر الأحـرار والوسط فى حزب مصر واليسار فى حزب التجمع. تمـهيدا لتحولها إلى احزاب. بذلـك فقد تدرج خطوة أى باب باب للمـريض. حتى لايحدث بلبة أو فوضـى أو اندفاع غير محـسوب ولاشك انـه كان سـعيدا بـرئاستـه لحزب الأغـلبيـة. وانه لايضيق بالأراء الأخرى المـمثلة فى المعارضة لأنه الذى طـلبها وسعى الى تشـكيلها ويرى ضـرورة وجود الرأى الأخر. الا أنه كان يـضيق بالناس الـتى خارج هذه التنظـيمات الشعبية الـقانونية. عندمـا تشكل حزب الوفـد الجديد برئـاسة فؤاد سراج الـدين قد ضاق مـن دعوته للعودة للوراء. وسعيه لاعادة عقـارب الساعة الى الوراء وبالطبع فإن هذا ضد طبيعة الأمور والطبيعة البشرية أيضا. فلابد أن تدور عقارب الساعة للأمام.

ولكني التقط خيط الوفد الجديد وسألته عن اسباب موافقة السادات على عودة هذا الحزب؟!.

أجاب دون تفاصيل بقوله: فى النهاية وافق على ذلك احتراما لرغبة جانب من الرأى العام الذى كان يريد عودة حزب الوفد. وكان من المصلحة ان يوافق حتى لايتهم بأنه لايريد معارضه بذلك يخسر أمام الرأى العام. انما أراد التأكيد على احترامه لرغبة البعض من الرأى العام ويؤكد أيضا أنه لايضيق بمطالب الرأى العام.

ثم سألته بقولى: لقد أجرى استفتاء فى أواخر السبعينات حول العزل السياسى وكانت مصر قد تجاوزت هذا منذ حكم عبدالناصر. الا أنه عاد تحت دعوى عزل الذين افسدوا الحياة السياسية قبل الثورة. وقد طبق فقط على فؤاد سراج الدين وعبدالفتاح حسن فما قولك فى هذا

أجاب قائلا: عندما تكون حزب الوفد الجديد لجأ فؤاد سراج الدين الى عبدالفتاح حسن لأنه يحتل عنصرا لوطنية والسلام والتجديد وكانت صلته به انه مدير مكتبه الأسبق. وإذا كان قد أمد الله فى عمره اعتقد- انه لاختير نائبا لرئيس حزب الوفد الجديد.

ثم ختم حديثه حول المعارضة بقوله: ان الجميع يؤمنون بضرورة وجود معارضة. معارضة سليمه نظيفه تتوخى بناء الوطن وإنما إذا كان مفهوم المعارضة هو الهدم فالهدم بسيط.

الفصل الرابع:

بدايته الحزبية... هجوم على الوزراء

- لماذا اختار السادات أول أمين عام لحزبه من المسيحيين.
- ولماذا أقيلت من الأمانة العامة.
- الأساتذة الدكاترة من أفضل المستشارين وليسوا وزراء.
- لماذا كان نظام الكلاء البرلمانيين.. وكيف ألغى.

لاشك أن اختيار فكرى مكرم عبيد كأول أمين عام للحزب الديمقراطى والذى بادر الرئيس أنور السادات بتأسيسه وهو حزب الأغلبية الحاكم كان ذلك الاختيار مفاجأة ولايمكن لاى شخص الادعاء بأنه كانت لديه أى أشارة أو معلومة أو معرفة حول هذا الاختيار.

وأذكر انه بمجرد اعلان اختياره فى الصحف. قد استلفت الأنظار حتى ان الكاتب الكبير الأستاذ أنيس منصور وكان رئيس تحرير مجلة أكتوبر وأقرب الصحفيين للرئيس السادات. قد بعث فى طلبى وأمرنى الأسراع فى عمل حديث صحفى مع فكرى مكرم عبيد.. وكانت ضمن الأسلة التى أملاها لي ماهى أسباب اختياره أمين عام للحزب الجديد! إلا أنه بعد دقائق أمرنى مرة أخرى بصرف النظر عن ذلك الحديث الخاص لمجلة أكتوبر وطلب منى الاكتفاء بحضور المؤتمر الصحفى الذى سيعقده الأمين العام الجديد للحزب الجديد. والحقيقة ان هذا السؤال لم يطرحه أحد الصحفيين على رجل المرحلة الجديدة. ومرت السنوات هأنذا أنفرد به محاور وكان هذا السؤال من الأسئلة التى كنت حريص على طرحها أمامه حريص أيضا على اجاباته..

التى استغرقت لحظات تأمل خرج منها للاجابة والرد وقال : والله يا محمد. . الاختيار لم يأتى من فراغ فكنا زملاء دراسة في عام ١٩٢٨ التقينا مرة أخرى فى قضية أمين عثمان عام ١٩٤٢ وقد شاركت في الدفاع عنه بطريقة غير مباشرة. ثم كنت على صلة مستمرة معه ابان وجود أول تنظيم سياسى بعد الثورة وهو هيئة التحرير وتكليفها لنا معا بالسفر لجنوب الصعيد بأسوان وقنا وسوهاج للدعوة للثورة وللهيئة ثم تباعدى بعد انتخابات عام ١٩٥٨ وتفرغت لعملي فى المحاماة حتى عام ١٩٧٥ حيث استدعاني وأصدر قرار تعييني عضوا بمجلس الشعب. . حتى كان صيف عام ١٩٧٨ فى شهر يوليو بالتحديد. وطلب حضورى للقاءه فى استراحة القناطر الخيرية والتقيت به وبادرنى بعرض فكرته باقامة حزب جديد فقال:

أنا قررت اقامة حزب جديد بدل حزب مصر عشان الحزب ده مش نافع.

فقلت له: ربنا يبارك فى الجديد.

فقال: وأنت ستكون سكرتير عام الحزب الجديد.

فقلت له: ألا ترى ان المهندس ابراهيم شكرى أنسب.

فقال: لا. . انا اخترتك أنت. فأنت تمثل الصداقة القديمة وكان لك دور في الحركة الوطنية وأذكر انك انحبست فى قسم الوايلى أثناءها.

فقلت: ياريس اننى - بالطبع- لا أستطع ان أرفض لك طلبا ولكن هل فكرت جيدا فى اختيارى؟!.

فقال: طبعا فكرت بعمق. أنت كفاءة وأتتبع أخبارك عن بعد وأقرأ وأدرس إلى أخره. ولما مصطفى كاسل مـراد يعرف انني اخترتك مش حايزعل.

فقلت له : اذا كنت تري ذلك فأنا مستعد للمهمة الجديدة.

ومرت أيام وبعدها التقيت بـه مرة أخرى. بادرته متساءلا: ياريس هل فكرت فى أنه ربما يؤخذ عليك اننى مسيحى؟.

فأجاب عـلى الفور: أنـا فكرت تماما وأنـك أصلح الأسمـاء التى استعرضتها وعارفك كويس وعارف محبتك للناس ومحبة الناس لك. معرفتك بأعضاء مجلس الشـعب من المؤيدين والمعارضين. واما عشان أنت مسيحى فأنا أرى أنها من الأسباب الهامة التى تؤكد حرصى على ان الحكـم لايفرق بـين مسلـم ومسيحـى. وهذه من مـيزاتك ولـيس عيوبك.

ولكنـنى قاطعت فـكرى مكرم عبـيد وسألتـه عن أسباب ترشـيحه لابراهيم شكرى بدلا منه فهل كان يعرفه أم صديقا له!.

فأجاب عـلى الفور: اننى لـم أتشرف بمعرفـته شخصيا. بـل كنت أسمع عنـه كرجل وطنى عندما كـنا فى الدراسة ونحن شـباب أطلق عليه الـشهيد الحى لأنه تعـذب فى احدي المعتقلات. وكـان مشهورا بالوطنية والوجه المشرق النظيف ورجل ممتاز.

ثم توقف لحظـة وعاد واستدرك بقوله: وإذا كانـت التطورات قد غيرته بعض الشئ فربما لأنه يبحث عن دور. فاختلطت الأوراق.

وأضاف قـائلا: وقد أصر الـرئيس الـسادات علـى اختيارى خـاتما نقاش معه بقوله: المهم انا أرتاح لك.

وكانت حقيقة المحبة متبادلة معه.

ولاشك ان الحزب كان يستند على شخصيته المؤثرة أيا كانت النظرة إليه فـله أخطاءه ومزاياه شـأنه كل البشر وغـير هذا غير مقـبول. انما لاشك انه كان شخـصية قوية جدا وقياديـة وقائدا للجماهيـر وحديثه طلى وخـطيب وان كان أيضا كـسول يستيـقظ من نومه متـأخرا لأنه سهير فى الـليل كأخى وليم مكرم عبـيد. ومتأثرا بالحركات التمـثيلية حيث كان عضوا في فرقة التمثيل بالمرحلة الثانوية.

فقاطعته قائلا: قال المهندس سيد مرعى -رحمه الله- ذات مرة انه لابد للسياسى أن يكون فيه جانب تمثيلى . فهل ذلك صحيح؟!.

أجاب بابتسـامة عريضه: لابد.. لابد من هـذا. وكان أخى وليم مكرم عبيد من كبار الممثلـين فى بعض الأحوال. وكان يشبه السادات فى ذلك. فعندما كان أخى يريد تأجيل قضية يتصل برئيس الدائرة فى المحكمة ويدعى بصـوته أنه متعب ويطلب تأجيلـها أسبوعين أو ثلاثة يستجـاب لطله. كان يتحكـم فى نبرات صوته وخاصة فـى المرافعات الجنائية والخطب السياسية. كان يمتلك نغمات صوته يرفعها كيفما شاء ويخفضها أيضا ويهمس بها أحيانا.

ثم سألـته عن أسبـاب اتجاه الرئيس الـسادات لاقامة حـزب جديد يكون هو رئـيسه ولماذا لم يقتنـع باستمرار حزب مصر بـرئاسة ممدوح

سالـم وكان يمـثل حزب الـوسط وحـزب الأغلـبية وحـزب الرئـيس أيضا؟!.

جاءت اجابته بروية وقال: لقد أراد السـادات تقوية حزبه شخصيا وكان السادات يؤمن بحكم الشعب لأنه كان يؤمن به. ويريد للشعب أيضا ان يؤمن به ويسعى لعمل تلاحم بين هذا الإيمان الفردى والإيمان الجماعى.

وكنا قد التقينا لمناقشة تـسمية الحزب. وقد قرأت كتاب الاشتراكية الديمقـرطاية الذى أعـده الدكتور صـوفى أب طالب كـمهج للـحزب الجديد سألنى عن تسميته فأجبت بأنه يمكن تسميته الحزب الاشتراكى الديمقراطى لأن الفلسـفة القائم عليها الحزب هى الديمقراطـية كفلسفة لنظام الحكم والاشتراكية هى مانص عليها الدستور. وبذلك نجمع بين الفـلسفتـين خاصة أن حـزب مصر كان يـسمى حـزب مصر العـربى الاشتراكي بالتالى لاتخرج عن الخط السابق.

ولكنه بادرنى بالرد بسؤالى: وما رأيك فى الحزب الوطنى فأجبته: انه اسم عـظيم. انما تـلك التسـمية كانـت للحزب الـوطنى بزعـامة مصطـفى كامل. ولـكنه انقضـى عندما تـكون حزب الوفـد فى عام ١٩١٩.

الا أنه عاد وسألنى: ما رأيك فى مصطفى كامل.

فقلـت: كان زعيم عظيـم. والعالم كلـه يعرف من هو مصـطفى كامل.

فقال: وانا عايز أخلط بين الحزب الوطنى القديم والحزب الوطنى الجديد قد أضفت إليه الديمقراطى. فما رأيك.

فأجبته وقد أعجبنى منطقه ليس هناك أفضل من ذلك الاختيار.

وتوقف دقائق ليرتشف فيها القهوة. وقد أنصت لحديثى الذى أحتوى بعض التساؤلات وقلت: من خلال متابعتى - بعد اختيارك أمين عام الحزب- وخاصة بعد اعلان اسمك. فانك بدأت على الفور فى الدعاية للحزب الجديد. الا أن هذه الدعاية فى جزء منها كان هجوما لاذعا وقاسيا أحيانا على حزب مصر المنقضى. وكذلك نقدك الجرئ على بعض مثالب حكومة ممدح سالم بل انه قد مسه بصفته رئيس وزراء وبعض الوزراء فيها. ورأيت ان هذا الانتقاد ربما يكون قد مس الرئيس السادات نفسه لأنه الذى اختار رئيس الوزراء وأعضاء الوزراء وأيضا قيادات حزب مصر. فلا أدرى كيف بدأت ممارسة عملك كأمين عام للحزب الجديد وماذا عن مساحة حريتك فى ذلك وخاصة اختيار المعاونين وأداء الحزب الجديد وأفكارك التى طرحتها حينذاك وكانت تعد بمثابة نقد لواقع وتقريظ لقياداته. ولعلى أرى ان ننتهى من الحديث عن حزب مصر. فى تلك الأونك. كماض ثم نتطرق الى حديث الحاضر والمستقبل عن الحزب الوطنى فى الأونة ذاتها.

وكان قد انتهى من القهوة واستند الى الخلف على مقعده كأنه يسترخى قليلا. وجاء صوته يحمل نبرة الثقة وبادر بالحديث عن حزب مصر فقال:

كنت أرى بعض المآخذ على حزب مصر. وكان رئيسه ممدوح سالم رجل فاضل وكتبت أكثر من مرة فى جريدة حزب الأحرار الذى كنت نائبا لرئيسه ان حزب مصر حزب موظفين ليس بحزب سياسى أو جماهيرى. وان كان ممدوح سالم رجل نقدره كرجل أمن الا أنه موظف ولايجوز ان يكون رئيسا للوزراء. وكان خطه بدأ كمديراً من الاسكندرية ثم محافظا ثم زيرا للداخلية ثم رئيسا للوزراء. وقد افتقد الحاسة السياسية. وعندما قرأ ذلك قد غضب منى . الا أننى عندما التقيت به أوضحت له اننى لاأقصده شخصيا فهو رجل وطنى ولكن منصب رئيس الوزراء ليس وظيفته .

وإنما عندما يكون زيرا للداخلية فأقدم له ألف سلام انما رئيس وزراء فهذا أمر أخر. فرئيس الوزراء يخطط ويدير سياسة انما لاينفذها والمفروض ان الوزراء يقوموا بذلك.

ثم قاطعته متساءلا: وقد ذكرت فى خضم دعايتك للحزب الجديد أن الخطأ السياسى الذى وقع فيه حزب مصر انه ابتعد عن القاعدة الشعبية.

فماذا كنت تقصد بالتحديد وإلى أى مدى كان قولك صحيحاً؟.

فأجاب على الفور: مازلت مؤمن بذلك. لأن الذى يصيب كثير من الأحزاب ه الشيخوخة سواء المبكرة أو المتأخرة. ويعنى هذا الترهل السياسى. يتمثل فى اقرار أعضاءه بأنهم فى الحكم. وما لبثوا كذلك فما بالهم بالقاعدة الشعبية التى أتت بهم فى الحكم. هذه القاعدة التى يمثلوها. فأين هى من هذا كله؟! فأين رجل الشارع.

ورجل الحقل ورجل المصنع. والمكتب والجامعة. ان هؤلاء جمعيهم الحزب. فإذا تحول الحزب الى العمل المكتبى وابتعد عن التلاحم بهذه القـاعدة وتحول الحزب أيـضا إلى اداة حـكوميـة فإن ذلك يعـنى ان الشيخوخة المبكرة أصابت الحزب.

وهذا مانخشاه عـلى حزبنا. لأنه بلغ من العمر مـا يخاف منه هذا الترهل السيـاسى ولذلك لابد من تجديد الدم باسـتمرار فى الحزب مما يجعله خـلية حية باستمرار ومـن هنا فالذى أقدم عليه الـرئيس مبارك بصفته رئيسـا للحزب الوطنى من اعادة تكوين المكـتب السياسى ضم عناصر جديدة بعضها تمثل قواعد شعبية وأخري تمثل قواعد علمية فإن هذا يعد تجديداً فى الدم الذى يضخ بالحزب ويجعل خلايا جسده حية دائما. وكذلك اعادة تشكيل الأمانة العامة من عناصر جديدة وبعضها من الشباب فإن ذلك يعد تجديدا حميدا.

وكل مـا أرجوه لحزبـنا الأتـصيبـه هذه الشـيوخـة أ هذا التـرهل السياسـى وغالبية الأحزاب تصاب بـذلك طالما انها تميل إلـى السكون سنوات حتى موعد الانتخابات البرلـانية. فتعود لنشاطها وتردد وعوداً وثلاث أرباعهـا وهمية أو كاذبة ومن هـنا فالخطر في ان النـاس تفقد الثقه والمصـداقيه ما يقال لها أثـناء الانتخابات لأن النائـب أحيانا يردد كلاما ووعودا كثيرة ثم لايفعل شيئا ويديـر ظهره للناخبين تنتهى صلته بالناس بمجرد حصوله على المقعد فى البرلمان. هذا خطأ سياسى كبير.

ثم توقف لحظات تـأمل. ثم عاد للحديث ووجهه يحـمل ابتسامه ذات مغزى فـقال: ولكن فـى الأونة الحاليـة. فاننى أرى حـركة فى

مجلس الشعب لأنها تدل على حيوية سياسية سواء بين المعارضة أو الأغلبية. فالأعضاء يسعوا لتحقيق كيان ذاتى لكل منهم. وعينه على الانتخابات فى المستقبل القريب. سيمسك كل منهم مضابط المجلس مشيرا لى ما سجله من أحاديث وأفكار وأراء ومطالب ورغبات جماهيرية. ومواقفه فى حادث أو موقف أو قانون. ولاشك أن كل هذه الأمور تجعل الحيوية تمتد لجذور الأحزاب.

ثم استدرك بقوله: ولو كان الأمر بيدى. فاننى أجرى نظام محاسبة سنوية لرجال الأحزاب فى الهيئات البرلمانية الخاصة لكل منها. فلا يكفى الاستماع لكبار الأعضاء. انما لابد ان يقدم كل عضو كشف حساب عما أداه من ممارسة برلمانية وما فعله لدائرته الانتخابية. لأنه ليس من المفروض ان يجلس نائب فى البرلمان كقطعة أثاث. انما لابد من الممارسة والمشاركة حتى لو أخطأ. . فهذا لايهم لأن القاعدة ان المجتهد له نصيب واذا أخطأ له نصيبين اذا أصاب. فلو تحدث النائب وتبين له أن بياناته غير دقيقه أو غير وافية فانه سيتعلم يتجنب ذلك فيما بعد انما لابد من الحديث والمشاركة لتفجير قضايا الجماهير. فهى فى شغف إلى المعرفة وكيف تساس البلد وبأى شكل ولأى مدى. وان كان يصعب ان تحاسب كل هؤلاء النواب. فإن الستة الذين اختيروا ممثلين للحزب الوطنى على سبيل المثال يمكنهم رفع تقارير للقيادة السياسية الحزبية عن أداء الأعضاء اما السكوت على الحق فانه شيطان أخرس. فلا يمكن أن يرى نائب الشر ولكنه يدير ظهره طالما أنه لايمسه شخصيا. وهذا خطأ كبير.

فالناس جميعها فى هذا الجو داخل مركب واحد لابد ان يساهم كل نائب فى انقاذه بل كل مواطن.

ثم قلت له: وقد لاحظت انك تعارض تبوأ أساتذة الجامعات مناصب الوزراء وكان ذلك قبل توليك منصب نائب لرئيس الوزراء فقد ذكرت فى احدى تصريحاتك الصحفية فى عام ١٩٧٨ بالتحديد: اننا عندما نختار مجموعة من أساتذة الجامعة الدكاترة كوزراء لحل مشاكل الجماهير نكون قد أرتكبنا خطأ سياسى واستراتيجى. فمع احترامنا الكامل للأساتذة وعلمهم ودراساتهم الا أنهم ليسوا بالضرورة على علم كامل بحاجات الجماهير واحتياجاتها الملحة. فما رد فعل هذا التصريح فى ذلك الحين.

وهل مازلت عند رأيك؟؟.

أجاب على الفور: بالطبع غضب أحد الوزراء من ذلك واتهمنى بأنني تجنيت على مجلس الوزراء برئاسة ممدوح سالم عندما أشرت إليه بأنه مجلس خبراء ليس مجلس وزراء وانه يجب ان ينبع من الشارع ولاينبع من الصوامع.

واستدرك وأكد قائلا: ولازلت عند هذا الرأى. فالأساتذة الدكاترة من أفضل المستشارين. فيمكن الاستماع لرأيه أو تكليفه بدراسة معينه انما هو ليس مسيسا. وإنما السياسة تنبع من الشارع الذى يكون الرأى العام وهذا جوهر الديمقراطية ولذلك نجد فى أكثر البلاد تقدما ان الوزراء جميعا من أعضاء البرلمان. وهذا ليس انتقاصا لقيمة الأساتذة

العلمية فى الجامعات ومراكز البحوث. فمثلا لو أردت اعداد قانون للضرائب فانني استفيد بالأساتذة المتخصصين فى هذا الفرع وأطلب أراءهم القيمة من الناحية العلمية. إنما أنا كوزير فاني اعتبرها ضمن عناصر تقديرية للمواءمة السياسية مع الجماهير والتى تعد عنصرا رئيسيا بل وأساسيا فى اصدار قرارى أو القانون. وإذا وجدت ان رؤية الجماهير غير صائبة مع وجوب الأخذ بالرأى العلمى فانني أحاول تصويبها وإذا لم استطيع ذلك فهناك العنصر السياسى هو المواءمة انما لايمكن ان أفرض على الرأى العام رأى الأساتذة مجردا من أى اعتبار جماهيرى أو سياسى. أما إذا التقي الرأيان فاننى بذلك يمكن مزج رؤية الأساتذة بأراء الرأى العام ويكون ذلك قمة النجاح فى إصدار قرار أو قانون.

سألته هل يمكنك الدلالة على رأيك ببعض الأمثلة وخاصة من خلال خبرتك كأمين عام - حزب الأغلبية- سابق وهو الحزب الحاكم وكذلك من خلال مسئوليتك كنائب لرئيس وزراء أيضا؟.

تفحص وجهى لحظات ثم قال: مثال ذلك الأستاذ الدكتور المرحوم عبدالمنعم القيسونى الذي معروف عنه من أكبر أساتذة الاقتصاد. عندما كان يشغل منصب نائب رئيس وزراء للشئون الاقتصادية فى عامى ٧٦-١٩٧٧ أراد سد عجز الميزانية. فالايرادات أقل من الانفاق الكثير. والضرائب تعد من مصادر هذه الايرادات. فرفع أسعار بعض السلع الضرورية فجأة أصدرها بقرارات للجماهير التى انزعجت من هذه المفاجأة بلا أى مقدمات أو ايضاحات أو تمهيد اعلامى. مما دفع

النـاس إلى التظـاهر والمعارضـة فى الشـارع. وقد ركب هذه المـوجة الشيـوعيين وكادت البـلد تحترق لولا أن الـرئيس السادات ألـغى هذه القرارات. يعنى ذلك أن هذا الاستاذ الجامعى يفتقد الحس السياسي. حس الشارع رغم علمه الغزير.

وهنا مثال آخـر. عندما كنا فى اجتـماع للجنة وزارية علـيا برئاسة الدكتور فؤاد محى الدين. فقد طرح علينا وزير الانتاج الحربى أبوابه لأنه يبـيع المنتج من الـبوتاجاز بخسـارة. فهو يتكـلف سبعون جنـيها والحكومة تحدد سعر بـبيعه بخمسة وستون جنيهـا. ومن هنا فالخسارة فى البوتاجاز الواحد خمسة جـنيهات. طرح اما أغلاق هذا المصنع أو الموافقة على زيادة سعر بيعه حتى أغطي هذه الخسارة.

الا انى وفؤاد محى الـدين رفضنا ذلك على الـفور. لأن ماحدث فى ينـاير ١٩٧٧ خطأ الـقيسونـى مازال ماثل أمـا عيوننـا. ثم تحدث المهنـدس عثمان أحـمد عثمان واقـترح عليه ان يـدخل تعديـلا على البوتاجاز ويرفع سعـره تبعا لذلك. ولتكن حليتين. وستـتكلف جنيها واحد وبذلك فالتكلفة تصل إلى احد وسبعين جنيها يمكن تحريك سعر بيعه إلى سبعة وسبعين جنيها.

وبعـد أسابيـع أخبرنـا جمال السـيد ان النـاس اتجهت إلـى شراء البوتاجاز المعـدل وتركت الأخر. وبذلك فقد حقق مكاســب للمصنع دون أن يحدث بلبلة أو معارضة من الرأى العام. وهذا هو الفرق بين الاستاذ وبين رجل السياسة والرجل الشعبى عثمان أحمد عثمان.

ومن هنا فانك لو أتـيت بالتكنوقراط وتضعهم فـى مواقع السياسة فهذا خطأ كبير.

ثم قلت له : ولكـننى من المتابعة السياسيـة. لاحظت ان موقعك السابق لمـنصبك فى الحزب الـوطني وهو نائب رئـيس حزب الأحرار المعارض يؤثر علـى توجهك كأمين عام لحزب الأغلبـية. فقد صرحت يوم تولـيك نائب رئـيس الوزراء فى أكتـوبر عام ١٩٧٨ ما يـدل على اهتمامك بالمعـارضة فقلت تحديدا: اننا نرحب بالنقـد البناء والمعارضة الشريفة طالما تستهدف المصلـحة العامة دون مزايدات جوفاء وطالما انها بعيدة عـن التشهير. وأضـفت ان الرئيس الســادات قد أوضح لك ان الحكم سيقوم على الشورى التى دعت اليها الشريعة الإسلامية.

وبعـد مرور ثلاث سـنوات وبالـتحديد فـى المؤتمر الـعام للـحزب الوطنـى وقبيل اغـتيال الرئـيس السادات بـأسبوع فى عــام ١٩٨١ قد أعلنت به: ان نظـرة الحزب الوطنى لاتقتصر علـى ارساء قواعد عامة سليمه للـحزب بل أيضا انماء المعارضة وضرورة تـشجيع الرأى الأخر بالحـزب الوطنى. فـهل بعد ممـارستك الحزبـية خلال ثلاث سـنوات تسـرب اليك الخوف مـن ان الحزب الوطنـى يمارس نشاطـه كتنظـيم سياسى واحد باعتبار انه حزب الأغلبية أم ماذا كنت تقصد تحديدا؟؟.

أجاب بهدوء قائلا: المـسألة ببساطة أن الديمقراطية تـستتبع الحوار. ولابد أن تعرف اتجاهــات الناس. ألامها وأمالها. وهذا لـن يتأتى عن طريق التنـظيم السياسى الواحـد. فقد خلقنا جمـيعا بتفكير مـختلف بالتالى بآراء مختلفة. فما تراه خطأ ربما أراه صواب والعكس صحيح.

وقد نجتمع على رأى واحد وعندما تـكون ضمن الأقلية ربما يكون لديك رأى أفضل وأجـدى مما أراه أنا بين الأغلبية. فلو مـنعت نفس من رأيك وكان سديدا فقد منعت الخير الذى قد يأتى من رأيك.

وفى ضوء هذا ونـظرا لضخامة الحـزب الوطنى فكنـت أخشى أن يتحول إلى تنظـيم سياسى واحد فى ممارسته السيـاسية كما كان الحال فى هيئة التحرير والاتحاد القـومى ثم الاتحاد الاشتراكى. وكانت هذه التنظيمات عـلى خلاف القاعدة الطبيعية وهـى اختلاف الناس. وكما قيل خلافهم رحمة وإن كان قد قيـل ذلك فى غير هذا الموضع انما ما نستخلصه فى كل موقع الشارع. القهوة. المصنع . الحقل. الديوان. فى كـل منـطقة ويـكون هـذا التواجـد باقـناع النـاس برأيـك. فإذا ماناقشـتهم فلايمكنـك ارغامهم علي الاقـتناع برأيك. لانك لـوفعلت ذلك فلـن يكون هناك حـوار والمسأله تصبـح املاء والإملاء بطبـيعة الحال لايرضى الناس. وعـندما تنتهى من حديثك بـالإرغام فانهم ربما يجامـلوك ولكن ذلـك لا يغير مافـى قلوبهم وضـميرهم. ولـذا فما صرحت به كما أشرت أنت فمـازلت أقوله. لابد ان يكون هناك رأى أخر والا فمن الـذى ستحاورهم ومن الـذين ستقنعـهم. وإذا ذهبت اليهم للحوار وفى ذهنك أنك لن تقتنع بالحوار والأراء وكأنك تذهب بفكرة مسبقـة ثابته فإنك بذلك لاتمارس عملك الحزبـى بقلب مفتوح وأذان صاغية فالديمقراطية حوار اقتناع اقناع.

وعند هذا الحـد. كان لابد من عودة الحديث إلـى بدء . فإذا كان قد طرح أراءه وأفكاره كأمين عام للحزب الوطنى وكانت من الشجاعة

الجرأه الأ انة رغم تعارضـها مع ماكان عليه الواقع مـنذ سنوات وفور توليه منـصبه . . فماذا اذاً عن أداء وممارسة نشاطـه الحزبى وما الذى أضافه في هذه الممارسة ؟! هذا ماطرحته عليه.

بادرتى بالاجـابة حول بداية ممارسته الحـزبية فقال: عندما كـلفنى الرئيس السادات بهذه المهمة. طلب مـنى اختيار معاونين أطلق حريتى فى ذلك عـدا شخص واحد. وكـان اختيارى لـثلاثة أولهـم المرحوم محمد عـبدالحميد رضوان. وكنت قـد زاملته فى وفد برلمانـى برئاسة المهندس سيد مرعى للولايات المتحـدة الأمريكية وكان ذلك بعد توقيع معاهدة كامب ديفـيد مع إسرائيل فى عام ١٩٧٨ وقبل تكلـيفى بمهمة أمانة الحزب كـانت هذه الزيارة أتاحت الفـرصة لى للتعرف عـليه عن قرب وقد أحـببته واعتـبرته بمثابة الأبـن وهو اختارنى بمـثابة الأب. وكان شاب ممتاز له صلات طيبة بأعضاء مجلس الشعب يعرفهم معرفة وثيقة. ولذلـك فقد اخترته ليكـون مساعدا لشئون مجـلس الشعب. ولكنني سـألته عمن يصلح لأن يـكون مساعدا لى للشـئون الخارجية يستـطيع التعامـل مع الأجانب والسـفراء فرشح لى زميـل دراسة فى مدرسـة فيكتـوريا وهو الأستـاذ منصـور حسن. وقد تـعارفت علـيه ورأيت فيه شاب جيـد ووافقت على الفور. ثم اخترت مـاهر محمد على ليكون مساعدا لشئون المهنيين وامـا كمال العقيلى مساعدا للعمال فقد قدمه لى الرئيس السادات.

ثم كونت لجنة فـكر. بمثابة لجنة استشارية من أعـضاءها: الدكتور عاطف صدقى والدكتور رشاد رشدى والدكتور وجيه شندى والدكتور

مصطفى السعيد والدكتور عادل عز والدكتور أحمد سلامه والدكتور أحمد محمود عمر والدكتور جلال أبو الدهب وفى أول اجتماعى بهم ذكرت انني وضعت في موقع امانة الحزب الوطنى ومهمتى تقويته ولست من الغرور الادعاء بأننى أعرف كل شئ انما معلوماتى لاتزيد عن أى معلومات مواطن عادى ولذلك أريد كل فى مجاله ان يقدم رأيه العلمى أو الفنى فى الموضوعات المطروحة للدراسة . وقد بدأنا على هذا الأساس. وكان اجتماعنا أسبوعيا كل يوم أربعاء. ونتناول بالنقاش أى قضية أو موضوع ونخلص إلى ورقة بالرأى نرفعها للرئيس السادات. وبذلك حاولت الجمع بين الفكر السياسى والفكر التكنوقراطى. وقد استمرت هذه اللجنة طوال وجودى كأمين عام للحزب.

عندئذ سألته عن نظام الوكلاء البرلمانيين الذى كان معمولا به فور تكوين الحزب الوطنى الا أنه اختفى بعد وقت فماذا عن ذلك النظام وماذا كان الهدف منه؟؟.

فأجاب قائلا: كان هدف ذلك النظام هو التنسيق بين الحكومة والحزب والبرلمان وخاصة فيما يتعلق بمصالح ومطالب الجماهير. ولمنع المنظر القبيح الذى نراه الآن من تهافت النواب على توقيعات الوزراء ورئيس الوزراء الذى عليه متابعة مناقشة المجلس الا أنه لايستطيع ذلك بسبب تكالب وتهافت والتفاف النواب حوله للحصول على توقيعات وتأشيرات لمصالح أهل الدوائر الانتخابية. ولاشك انه على النائب السعى لقضاء مصالح وخدمات أهل دائرته وهذا واجب وشئ

طبيعى بل يعد من أولي واجبات الـنائب ولكن بشرط ان يحافظ علي كرامته لأنه نائب عن الشعب. وهذا شئ كبير ومهم.

ولذلك رأيت ان نظام الوكلاء البرلمانيين يحقق الغرض دون اهدار لكرامة الـنائب وشغل الوزراء عـن متابعة منـاقشات مجلس الـشعب واتصال الحوار البرلمانى مع الأعضاء فى قضايا وموضوعات هامة.

ومن هنا كان تكليفى لكل وكيل برلمانـى بعقد جلسات يستقبل فيها الأعضـاء ويقوم نـيابة عـن الوزير- بـانهـاء مصالـح النواب وقـضاء خدماتهـم لأهالى الدوائر الانتخابـية بالاضافة لدعوة الـوزراء للنادى السيـاسى بالحزب ولقـاءهم بالأعضاء وكـل منهم له طـلب ورجاء أو توصيـة للوزير المخـتص فليطـلب ما يشـاء ونحن فى بـيت الحزب. لانحتاج إلى هذا المنظر القبـيح الذى نراه الآن فى الجلسات ويذاع فى التلـيفزيون يـبدو فيه اهدار كـرامة النائـب الذى هو نائـب عن الأمة والذى هو أكبر صفة فى الدستور.

وصمت لحظـات الا أننى استحثتـه على الاستطراد بـقولى وماذا بعد ؟!.

فأجـاب بهدوء: لـقد ألغـى هذا الـنظام بـعد أن تركـت الوزارة. ويمكـنك ان تقول انـه سقط بـعدم الاستعـمال ولـم يـسقط أو يلـغى بقرار. انما بالتجاهل كما يحدث فى مـجال القانون عندما يسقط قانون بعدم الاسـتعمال. فلو صــدر قانون لـم يطبـق لمدة خمسين عامـا فإنه يسقط من تلقاء نفسه.



الفصل الخامس :

الأمين العام.. وقضية الفساد؟؟

- حقيقة عمولات د. مصطفى خليل فى صفقة التليفونات.
- الغيت مشروع سياحى تجارى بعد ماتوليت منصب نائب رئيس الوزراء.
- الرئيس مبارك لديه حاسة للعدالة رغم انه رجل عسكرى.
- الغيت صفقة لابنى لتوريد أخشاب لمصر.

وإذا كانت قضـية الفساد. قضيـة حاكمه ومؤثرة في أى مـجتمع. فإن الفساد هو ناموسة انهيار الإنسان فردا أو جماعة أو دولة. أو هى حشرة سوسة تنخر فى أى كيان حتى تهدمه.

ولذلك فإن فكرى مكرم عبيد يـؤمن بأن ماجرى لأخيه الأكبر بدءا من تفتيـت علاقته بالنحاس بـاشا صديق عمره وزميل كـفاحه مروراً بفصله من الحزب وطرده من البرلمان إلى اعتقاله. فأن سبب هذا كله هو الفساد الذى بدأ ينخر فـى الحزب من البعض والذين ارادوا اساءة استغلال النفوذ والسلطة. ولذلك فإن قضية الفساد لدى فكرى مكرم عبيد قـضية حساسه وحاسـمه فى مبادئه وممـارساته السياسيـة حزبية كانت أم برلمانية. فهو يمقت الفساد بل يـبتعد نهائيا عن أى شبهة يمكن ان تلقي عليه أى ظل من الفساد.

وقد لوحظ عنـدما تولى منصب أمين عام الحزب الـوطنى. أنه قد طرق هذه القضية بشجاعة وعلى مرأى الرأى العام. ففي مؤتمر شعبى بمدينة طنطا فـى شهر نوفمبر عام ١٩٧٨ وكان قد تقلـد منصب نائب رئيس الــزراء فى حكومة الـدكتور مصطفـى خليل فقـد صاح تحدث محذراً من الفساد فقال: ان الرشوة كـانت قد انتشرت إلى درجة انها كانت محـل تندر فى الصحـف . وان حكومة الحزب لم تـتهاون مع

منحـرف كبيراً كـان أم صغيراً وأنـها بمجرد أن أذيـع اتهام لأحد كـبار المسئولـين بالحصول على رشوة أحـيل الأمر إلى النيابـة وإلى المدعى العام الاشتراكى وسيطبق هذا على كل المنحرفين.

واستدرك بقوله: انـنا فى مواقعنا يجب ان نكون رقـباء لن نسمح بحالة انـحراف واحدة وان يتقدم فـورا إلى الحزب كل من يتـأكد من وجود أنحراف أو رشوة مدعما بالمستندات.

وفى يوم ليلة رأس الـسنة من نفس العام وفى افتـتاح مؤتمر سلوك العاملين بالجهاز الحكومي أضاف قائلا: ان الـظواهر السلوكية السلبية التى تفشت فى الدولة والقطاع العام تؤثر على مجتمعنا كمجتمع منتج فى وقـت نحن أحوج مـا نكون فيـه لزيادة الانـتاج وتحقيـق أهداف التنمية.

هذا وإذا كان هذا موقفه فى موقعـه كنائب رئيس وزراء فماذا عن موقف رئيس الوزراء حينذاك الدكتور مـصطفى خليل فإن الأخير فور حلف اليمـين لرئاسة الوزراء في الرابع من أكـتوبر عام ١٩٧٨ صرح قائلا: اننى أرفـض رفضا كاملا أى نوع من التقـصير والأهمال وأى نوع من الـفساد. فالخـطأ يمكن قبـوله أما الانحـراف والفساد فـانني أرفضهما رفضا كاملا لأنه لامحـسوبية ولا أى نوع من أنواع المجاملة فى مثل هذه الأمور. ان ثقة الناس تأتـى من القدوة التى نعطيها وإذا لم تكن على مستوى المسئولية فلا نستحق المناصب التى نتولاها.

وقد طرحت على فكرى مكرم عبيـد هذه التصريحات السابقة وقد

بدأت بتساؤلاتى مـن الأخر. حول تصريح د. مصطفى خـليل. قلت له:

فى الوقت الذى كان قـد تولى فيه الدكتور مصطفـى خليل رئاسة الحكومة فانه كان يتقاضي أجرا أو مكافأة شهرية من البنك الذى كان يرأسه قبل توليه المنصب الـوزارى. وكان قد تقدم كل من المرحومين المستشـار ممتاز نصار والدكـتور محمود القـاضى بسؤالين فى مـجلس الشعب حول عدم دستورية ذلك. وان كان هذين السؤالين لم يدرجا بأى جدل في جلـساته الا أن هذا الأمر كان يتردد بـين الأعضاء. قد نوه عن ذلك أحـد كبار الكتاب فيـما بعد فماذا تعـرف عن هذا الأمر ورأيك فيه ؟!.

أطرق برأسه لحظات. ثم أجاب بروية وقال: اننى لن أناقش صحة هذه المعلومة. لأننى لا أظن ان الدكتور مـصطفى خليل كان يتقاضى أجر أو مكافأة مـن البنك الذي كان يتولـى رئاسته قبل توليـه منصب رئيس الوزراء . الا أنني أذكر ان كل من تولى منصب وزير قد تخلى عن مهنته أو وظيفته واننى قد طلبت من الأستاذ أحمد خيرى السعيد نائب وزير الخارجية السابق بأن يتولى عنـى تصفية القضايا المعلقة فى مكتـبى وان يدفع مـرتبات الموظفـين لأنهم أمانة فـى عنقى ولـديهم مسئوليات عائلية وما يتبقى فليأخذه أجر عمله.

ويضيف بقولـه: وقد ألغيت مشروعا سياحيا كـنت قد بدأت فيه. حيـث أملك وزوجتـى قطعة أرض فـى جزيرة الذهـب بوسط النـيل مسـاحتـها احـدى عشـرة فدان. وكـنت قـد أعددت دراسـة جدوى

اقتـصادية لاقامـة هذا المشـروع وقد استعـنت بخـبراء أمريكـان ومن سويسرا فى ذلك. وحصلت على تصـريح من هيئة الاستثمار في عام ١٩٧٤ كذلك حـصلت علـى تصريح من وزارة الـسياحة حـيث كان المشـروع عبارة عن فـندق يحـاط به مجمـوعة فيـلات صغيرة. كـما حصـلت علـى تصريـح من وزارة الرى وكـذلك من وزارة الـزراعة وأخيرا من محافظة الجيزة.

وعندما تولـيت منصب نائب رئيس الوزراء فـى أكتوبر عام ١٩٧٨ اتصلت على الفـور بالمهندس أحمد عبدالأخر محافـظ الجيزة حينذاك وطلبت منه اعتبار هذا المشروع كـأن لـم يكن فاندهش وانزعج الرجل وحضر لـمقابلتى يسـألنى عن السـبب وخاصة ان هذا المشـروع تجاريا فأجبته وكيف أكون وزيرا وأجرى عملية تجارية. فاما ان أختار هذا أو تلك فأجابنى بأن المشروع قد بدأتـه بسنوات قبل هذا المنصب الوزارى وكيف وقد أنفقت آلاف الجنيهات فى الاعداد والدراسة فقلت له:

أبعث لى بخطاب فـحواه ان التصريح الذى منحتنى ايـاه يعتبر كأن لم يكن.

وصمت لحظة ثم نظر لى باصـرار قائلا: ولايمكن اطلاقا ان نقول ان د. مصطفى خليل حصل على هذا الأجر أو تلك المكافأة- الا إذا ثبت عكس ذلـك. فى تلك الحالة اعتقـد انه يكون مخطئا. ولـكننى اعتقد أيضا انه أعقل من أن يفعل ذلك.

ولكنني عدت متسـاءلا: أتذكر ما كتبه الدكتور محـمد حلمى مراد

فى جريدة حزب العمل من تقاضى الدكتور مصطفى خليل عمولة قدرها خمسة مليون جنيه من كونسرتيوم التليفونات وذلك قبيل توليه منصب رئيس الوزراء وقد استند فى ذلك إلي ما كتبته احدى الصحف الغربية وهى ذات الصحيفة التى استند اليها د. مصطفى خليل فى اتهامه للمهندس أحمد سلطان نائب رئيس الوزراء للكهرباء والطاقة السابق بتقاضيه رشوة. إنه قد أحاله إلى النيابة العامة فانه لم يحيل د. حلمى مراد إلى النيابه العامة وكان قد هدد وأنذر بذلك.. وقد طلب من مجلس الشعب تكوين لجنة تحقيق. والتى أبرأت ذمته إلا هذا التحقيق يعتبر تحقيقا سياسيا فما رأيك وقولك فى هذا وذاك؟!.

اتسعت عيناه أكثر وهو ينظر لى بامعان وجاءت نبرة صوته حاسمه وقال: أذكر كل هذا. وانى ليس فى مجال توجيه اتهام لشخص أو تبرئته. والوقائع ليست حاضره فى ذهنى انما أذكر تماما اعتذارى عن التحدث فى هذا الأمر بمجلس الشعب كمندوب عن الحكومة وان كانت تلك مهمتى حينذاك. وتركت الأمر للوزراء الفنيين الذين يقدر الأمر ويناقشوه بفهم للوقائع. ولأنني لا أملك تأييد أو نفيا أو معارضة حيث علمت بالأمر من الصحف ولكننى أثق فى حسن تقدير محمد عبدالحميد رضوان الذى كان يرأس لجنة التحقيق البرلمانية. وقد أبرأ ذمة د. مصطفى خليل. لعلك ترجع إلى هذا التقرير لترى وتكشف عن ذلك بنفسك. أردت الابتعاد عن هذا الأمر. وان كان ليس ابتعادا كبيرا. وتحدثت أذكره بتصريح أدلى به فى أول اجتماع

للحزب عقد بالقاهرة فى أواخر شهر سبتمبر عام ١٩٧٨ قبل توليه منصب نائب رئيس الوزراء وكان قد صرح قائلا: يخطئ من ينضم للحزب لتحقيق منفعه خاصة. وسألته وماذا عن واقع الحال وتحقيق هذا المبدأ الذى أعلنه؟ فأجاب في نبرة صوته شئ من الأسى وقال: لعلى كنت مثاليا فى هذا التصريح. لأنه كان منتهى أملى ان نكون حزب بعيدا عن المصلحة الذاتية. انما واقع الأمر ان لمصالح الناس قيمة. فالرجل العادى يذهب لمن! اما أنه يشكو لجهة الادارة اذا ماوقع عليه ظلم واما ان يشكو إلى ممثله الطبيعى وهو النائب البرلمانى فى هذه الحالة الأخيرة فإن النائب يرفعها اما بالطريقة الادارى أو الطريق التشريعى. والطريق الثانى يستغرق وقتا طويلا.

واستدرك بقوله: ألا أنه اذا كانت فكرتك عن انضمامك للحزب لمجرد تحقيق منفعه ذاتية فهذا شئ مرفوض. بل لابد ان تكون مجردا عن مصالحك الذاتية. ولايمكن ان يكون انضامى للحزب لأحقق انتقاما أو أذى إلى جارى. أو الحصول على منفعه بغير حق. اما إذا كانت منفعه بحق فلا ضرر منها ولاجناح عليها. وكنت أدعوك دائما بالابتعاد عن المصالح الذاتية وخاصة المصالح الذاتية التى تضر بالناس لاتنفعها ومثال ذلك لو جاء لى نائب يطلب حفر ترعة أو مدسكة حديد أو انشاء كوبرى فهذه مصالح نافعه للناس، واما اذا جاء لى نائب يسعى لالحاق قريب او ابن بكلية الشرطة ولا تتوافر فيه الشروط المطلوبة أو المناسبة فهذه منفعة مرفوضة أو يسعي أحدهم لتوظيف أخر فى وظيفة ليس مؤهلا لها فهذا مرفوض أيضا ومثل هذه

المصالح الذاتية مرفوضة واما المصالـح الذاتية المشروعة فلا ضرر منها اطلاقا.

ثم عدت أتساءل عمـا تنشره صحف المعارضة من قـبل وحاليا عن انحرافات لبعض كبار المسئـولين أو الوزراء وليس هناك ردود فعل من جانب الحكومة فما تفسيرك لذلك.

فقال على الـفور: اننا تابعنا ماتـنشره صحافة المعارضـة منذ حكم الرئـيس السادات الـذى وضع مبادئ عـامة فى هذا الأمـر. وهو ان النقد البناء الذى يقصد الخير نرحـب به واما اذا كان يقصد به التشهير فلا نعـيره التفـاتا فلو اتهـمت احدى الصـحف أ أحد الكـتاب وزيرا بالانحراف أو الفساد فعليه ان يـقدم دليلا. ولايجب ان يكون الاتهام كلا ما مرسلا. ودون سند أو دليل فهذا مرفوض وغير مقبول. أعتقد ان الرئيس مـبارك يؤمن بذلك تماما. أنـه يريد الدليل أو السـند على صحة اتهام أى مسئول كبير. بل انى لاحظت من سماته الشخصية ان لديه حاسة العدالة وصبر طويل وقلب مفتوح وعقل واعى.

وأما حاسـة العدالة لدى الـرئيس مبارك فـقد لاحظتهـا فى احدى اجتمـاعات المكتب الـسياسى عنـدما تكون الحـزب وكان نائبا لـرئيس الحزب وكنا بصدد تـعيين الأمناء المساعدين فى الأمانة الـعامة للحزب قد عرض احدى الأسماء لترشيحه. الا أنني تحفظت عليه فسألني عن الأسباب. فقلت له: أنه يقال عنـه كذا وكذا وكذا فسألنى مرة أخرى هل لديك دليل؟ فقلت له: ليس عـندى دليل وإنما نحن رجال سياسة يحسـن ان تبعد عن مـواطن الشبهـات. الا أنه فضل عدم ظـلم هذا

الرجـل لمجرد الأقـاويل. وأجـاب : لايؤخذ بـها. وقـد تولـى هذا الشخص فيما بعد منصبا وزاريا.

وعلق فـكرى مكرم عـبيد علـى هذا بقولـه: والغريب ان حـاسة العدالة موقدة لـديه وهو ضابط سابق. فالمفروض انها لـيست متوقدة كذلك ألا عند رجال القضاء والقانون.

ثم عـدت أقول له مـتساءلا: ولـكن هل يـظلم أهـل وأقارب أى مسئول كبير لمجرد انتماءهم اليه ويكون لهم حقوق أو مستحقات!.

فقال: هناك خلاف بين فلسفتين مـتعارضتين فى هذا الصدد. فهل تظلم أقارب الوزراء لـكونهم أقاربهم؟ أما لانظلـمهم. رأيى فى ذلك أننى أفـضل ظلم أخـويا أو ابنى بـدلا من ان أكون- لـيس وحدى- ويكونوا أيضا مـوضع شبهة من الرأى العام. وربما تـكون نظرتى فى ذلك ضيقة وأفضل ظلم أقرب أهلى بـدلا من المساس بمشاعر جماهير الشعب أو الحزب الذى انتمى إليه.

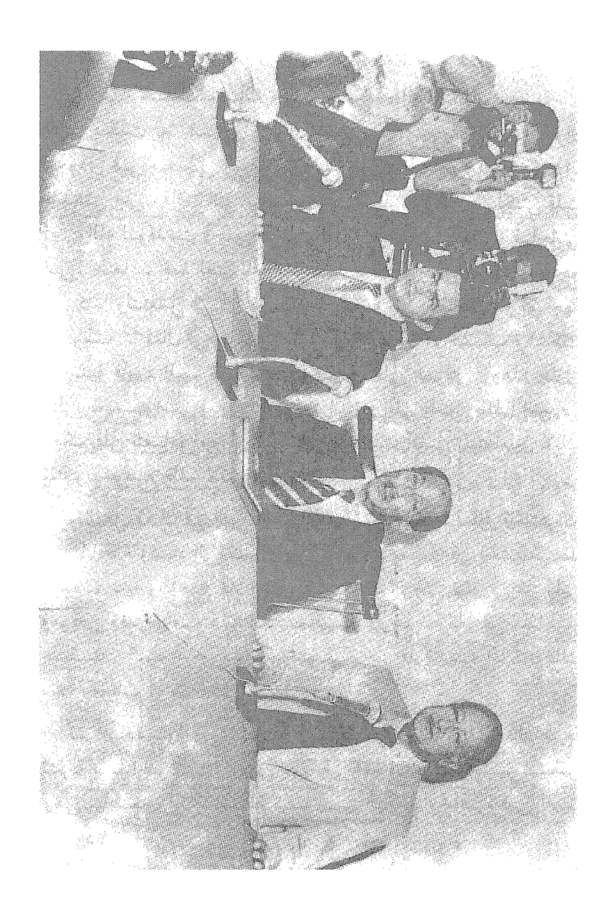
وقاطعته قائـلا: وهل طبقت نظرتك هذه على أحـد أقاربك عندما كنت نائب لرئيس الوزراء!.

فأجاب متأثرا وبصوت خفيض وقال: كان ابنى عاطف مهاجر إلى كندا يعمل موردا للأخشاب قبل تولى منصبى الوزاري بأربع سنوات. ومتزوج ومستقر هناك. الا أنني عندمـا توليت المنصب فقد جاء لزيارة مصر. ولـكننى سألـته هل هناك مـصلحة بالـتحديد قد حـضرت من أجلهـا؟ فأجابنـى بأن لديه مـناقصة فـى الغد بقـناة السويـس. لأننى

سأورد اليها خشب. فسألته متى كانت هذه المناقصة. فرد بأنها منذ فترة. فقلت له: انسى نهائيا التعامل مع أى جهة حكومية طوال وجودى فى منصبى الوزارى. ولتحمل شنطك وتعد إلى كندا. فاندهش ابنى وقال: اننى سأقدم أحسن أسعار من غيرى. لكنني قلت له: والله لوقدمت أحسن أسعار مليون مرة. فهل تحبنى. فأجابنى ابنى: طبعا.. فما الذى تأمر به. فقلت له: لتحمل شنطتك وترجع إلى كندا ولتعمل فى أى مجال آخر بعيدا عن التعامل مع أى جهة حكومية. فقال لى: اننى اتعامل مع مؤسسة الأخشاب والسكك الحديدية فأورد اليهم الأخشاب وأحصل على عمولتى. وهذا جارى منذ أربع سنوات. فعدت أقول له: انسى اللى فات. طالما اننى فى الحكم فلن تتعامل مع أى جهة حتي لو كنت أفضل المتعاملين لأنك ستكون موضع ظلم لأننى فى الحكم.

وبالفعل ذهب فى اليوم التالى للاسماعيلية وسحب أوراق اشتراكه فى المناقصة وعاد إلى كندا. ومن يومها لم يعمل في الخشب. فقد تشددت عليه والدموع تملأ عينى وقد كانت زوجتي تؤازرنى فى رأيى وموقفى وقد حرمت عليه الكسب فى بلده رغم انه كان فى كندا لبناء مستقبله. كنت أشعر بأننى منعت عنه خير قد ظلمته انما كان ذلك مبدأ وموقف اعتقده حتى الأن.

ثم أضاف بقوله: والفساد موجود في كل العالم. لأن هناك طبيعة بشرية بها الخير الشر. ومن يقل بغير هذا فانه كمن ينكر الشمس وهى ساطعه ولكن المسألة كيف تحجم الفساد وتحاصره فى أضيق الحدود.



الفصل السادس:
شخصيات حول الرئيس السادات

- كان للعاطفة تأثير كبير على قرارات الرئيس السادات.
- السادات يعترف بالخطأ بشجاعة
- سيد مرعى ترك لأنصاره العنان فى تمجيده.
- عثمان أحمد عثمان فى غنى عن استغلال السادات.
- د. فؤاد محى الدين يغار من د. يوسف والى
- أسرار الخلاف بين فؤاد محى الدين ود. صوفى أبو طالب
- دفع النبوى إسماعيل السادات ضد المعارضة

وفى حديثى مع فكرى مكرم عبيد. فقد تناول ضمن ما تناول بعض الشخصيات السياسية وبعضها من المسئولين الذين قد عمل معهم فى الدائرة المقربة أو المحيطة بالرئيسين السادات ومبارك. وقد رأينا أن نفرد فصلا خاصا بها حيث أنها جاءت متباعدة ومتناثرة فى الحديث. ولذلك فإن جمعها فى فصل واحد ربما يفيد فى التركيز وتسليط الضوء عليها حتى لا تفلت مننا إحداها.

ولكننى رأيت من جانب آخر البدء ببعض التساؤلات حول شخصية الرئيس السادات نفسه. وكانت أولى تساؤلاتى حول إمكانية أن يكون للرئيس معاونيين أو مستشارين يدفعوه للخطأ السياسى.

ولكنه بادر بالاجابة على الفور ينفى ذلك بقوله: أبدا. فالرؤساء الذين عرفناهم وعشنا معهم كالرئيس عبدالناصر والرئيس السادات حسنى مبارك فلديهم من قوة الشخصية ما يحصنهم ضد هذا. وإنما الأمر المأخوذ على عبدالناصر أنه ديكتاتور وهذا الآخير ـ بطبيعته ـ لا يستمع لأحد. بل أن الديكتاتور فى وقت من الأوقات يتصور أنه مبعوث العناية الآلهية وأنه غير قابل للخطأ وهذا هو السر فى أن كل من هتلر وموسولينى وأتاتورك وغيرهم كانوا مآلهم إلى دمار أنفسهم وتدمير بلادهم لأن كل منهم يتصور أنه لا يخطىء ويرى أن لديه رسالة سماوية لقيادة هذا البلد أو ذاك.

وأضاف قائلا: ولا السادات ولا مبارك من الشخصيات الضعيفة التى يمكن أن يؤثر عليها بغير ما تريد أو ما يسعى إليه. وأن كانت الحالة الوحيدة التى وقع فيها السادات تحت تأثير الغير هى حوادث ٥ سبتمبر حيث ضخمت أمامه ملابساتها دفعة واحدة. تحتد دعاوى البلد حاتروح والبلد حاتنفجر إلى آخره.

وسألته هل كانت العاطفة لها اعتبار فى قرارات الرئيس السادات؟؟

أجاب بقوله: كانت قراراته مزيج جمع بين العقلانية والعاطفة وللأخيرة تأثير كبير. إنما لا يتخذ قرارا إلا بعد تمحيصه مع نفسه أو مع الأخرين ولكنه فى النهاية يركن لرأيه الشخصى. وإنما أيضا كانت لديه الشجاعة والقدرة على الاعتراف بالخطأ. وربما كان قرار الغاءه لقرارات الحكومة فى يناير ١٩٧٧ من قبيل هذا.

ثم أشار إلى مثال أخر يروى قائلا: كنا فى اجتماع المكتب السياسى مع الرئيس السادات فى أسوان وعددنا يصل إلى أربعة عشرة عضوا. وقد عرض علينا مسألة توصيل مياه النيل إلى صحراء النقب. وكانت الأغلبية من الحاضرين تتجه برأيها إلى الموافقة. إلى أن جاء دور الدكتور مصطفى خليل فى الحديث وقد اعترض لأن هناك معاهدة دولية لتسع دول هى ـ دول حوض نهر النيل وهذه المعاهدة تحدد حصص كل دولة أو نصيبها من مياه النهر. وأشار مصطفى خليل إلى أن هناك أحد أمرين فأما سنأخذ من حصص الأخرين وهذا لا نملكه طبقا للمعاهدة وإما أننا ستأخذ من حصة مصر أو نصيبها وهذا أيضا لا يفيد لأن مصر بحاجة إلى كل حصتها. ثم جاء دورى

فى الحديث وقد عارضت اقتراح الرئيس السادات أيضا بقولى: إننى يا ريس ليس رجل فنى ولا أفهم فى اتفاقيات النيل إنما لو نفذ هذا المشروع فلن يكون هناك صدى إيجابى من الشعب يؤيدك فيما ذهبت إليه. وسنفقد الكثير ولن نكسب غير القليل.

فصمت الرئيس السادات قليلا ثم أخذ الأصوات ولم يعترض غيرى والدكتور مصطفى خليل. فعقب بقوله: طبعا أنتم عارفين أن من يخرج عن الإجماع كما وقع من أنتونى ناتج الوزير البريطانى عندما اعترض على العدوان الثلاثى فقد قدم استقالته.

شعرت ومصطفى خليل أن الرئيس السادات يلمح لنا بالاستقالة. فقلت له: نحن تحت أمرك يا ريس. فإذا كان على الاستقالة فنحن لا نمانع. فرد بقوله: ومين قالك إننا نقبلها. أن هذا قرار سياسى.

ويستطرد محدثى قائلا: وبعد أسبوعين وفى اجتماع لاحق لمجموعة سياسية قليلة ومنهم منصور حسن ومحمد عبدالحميد رضوان وكان الاجتماع مع الرئيس السادات فى النادى السياسى بعابدين وقد بادرنا الرئيس فى الحديث عن اقتراحه السابق وقال: لقد فكرت كثيرا فى هذا المشروع. وقد رأيت أن أضراره أكثر من فوائده. ولهذا فأنا عدلت عنه.

ويعقب فكرى مكرم عبيد على ذلك وبعد هذه السنوات بقوله: وكما ترى فإن لهذا دلالة على أنه فكر فى الأمر ودار بذهنه على كل الصور ورأى وجه الحق أو الصواب فاتخذ قراره. ولم يستحى أن

يعترف أنه قد أخطىء فى التقدير فى بداية الأمر. ومن هنا فائدة الشورى ودلالة على أن الديمقراطية متأصلة فى أعماقه. ويؤمن بالشورى كما وردت بالإسلام بمعنى «أن أمرهم شورى بينهم فإذا عزمت فتوكل على الله». ويعنى أنك تستمع للشورى والأراء ثم تتخذ قرارات والشورى بهذا المعنى غير ملزمة. إنما يرجع ذلك للحاكم أو الرئيس.

وعند هذا الحد من الحديث. يمكننى طرح الشخصيات السياسية التى كانت تحيط بالرئيس السادات وتعامل معها فكرى مكرم عبيد عن قرب وماذا يكون انطباعه عن كل منهم.

ولنبدأ بالشخصيات التى صاهرت الرئيس السادات فى أبناءه وأولهم المهندس سيد مرعى. فماذا عنه؟

يقول فكرى مكرم عبيد عنه: كان زميل دراسة معنا والرئيس السادات. وصديق وصهره إلا أنه قد أخطأ فى أنه ترك لأنصاره العنان فى تمجيده ولم يوقفهم عن ذلك. وقد التقيت به فى مكتبه ونصحته: بأن يخفف أو يوقف أنصاره من مظاهر تمجيده. إلا أنه أجابنى بأنه ليس وراء ذلك وإنما أنصاره يتحمسون له. ثم فوجئت بمظاهرة تأييد من بعض الأعضاء معارضين ومؤيدين وصياح بأنهم لا يرضوا بغيره رئيسا لمجلس الشعب وكذلك شارك الموظفين فى ذلك. وقد أغضب هذا الرئيس السادات. قعدت لسيد مرعى أعاتبه على تلك المظاهرات فقال لى: أنه فوجىء بها أيضا. إلا أننى أعتقد أنها دبرت ضده لأن مدبريها يعرفون رد فعلها السلبى عند الرئيس السادات.

وأما عن عثمان أحمد عثمان فأشار إلى أنه رجل طيب وخير. وأنه ثرى جدا من عمله بالمقاولات فى السعودية والكويت وشركة المقاولات. ويصل ثراءه إلى أنه من بين مائة ثرى فى العالم كما جاء بتقرير أمريكى فى ذلك الصدد. ووجوده بجوار الرئيس السادات خير ضمان أنه لا يسعى إلى مزيد من الثراء حيث أنه ثريا بالفعل وفى غني عن استغلال السادات فى ذلك. وليس طامعا فى أى منصب وزارى. إنما كل ما يحرص عليه فقط صداقة السادات وأنه يبقى نائبا عن الاسماعيلية باعتبار حبه الشديد وانتماءه الكبير لها. فهو رجل فاضل وهذه حقيقة.

وقد تناول الحديث الدكتور فؤاد محى الدين وهو من الشخصيات البارزة التى عملت مع الرئيسين السادات ومبارك. وفى إحدى اللقاءات مع الرئيس السادات سأله الأخير عن رأيه فى الدكتور فؤاد محى الدين فقال شخص جيد وكادر سياسى من الدرجة الأولى إنما يقال عنه أنه يسارى.

فرد عليه السادات قائلا: أنت خبرتك قليلة. لأن فؤاد محى الدين لا يحب اليسار ولا يحب اليمين. إنما هو يحب فؤاد محى الدين.

ويضيف فكرى مكرم عبيد بقوله: وعندما تولي نائب رئيس الوزراء وأمين عام الحزب وعينى على فؤاد ليعمل معى. فقد التقى بالدكتور أحمد سلامة مستشارى القانونى ود. مصطفى السعيد وعبدالحليم منصور المدير الإدارى وعبر لهم عن موقفه فقال: أنا مشى عايز حاجة من أمين عام الحزب والذى تعارفت عليه حديثا

وأحببته إلا أن أكون رئيس المجموعة البرلمانية لمحافظة القليوبية ورئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشعب.. ثم التقيت به وكانت اجابتى له: لك ما تطلبه وما تريده. وقد شكرنى على ذلك واعتبره جميل يحفظه لى.

ثم دار الزمن - كما يقول محدثى - ويصبح فؤاد محى الدين نائب أول لرئيس الوزراء حيث كانت برئاسة الرئيس السادات واحتفظت بمنصب كنائب لرئيس الوزراء. فالتقيت به وبادرته قائلا: يا فؤاد أنا عارف أنه قد يحاول البعض أن يوقع بينى وبينك وإننى ليس لى مطمع فى شيء ولن يحدث أننى اعاكسك أو أضايقك إنما أريد منك أن تعدنى بأنك لا تستمع إلى وشاية. فرد بقوله: لك على هذا أو بالنسبة لك. فقلت له: أعدك بهذا أيضا.

وفى ذات يوم كنا مجتمعين فى لجنة الزراعة بالحزب. وكنت أقوم بإدارة النقاش ومعنا المهندس أحمد عبدالأخر وحضر الدكتور يوسف والى وزير الزراعة. وقد تحدث الوزير عن ضرورة إطلاق حرية الأسعار فيما يختص بالقمح والقطن وأشار بأن الحكومة عندما رأت انخفاض سعر توريد محصول الفول أحجم الكثيرون عن زراعته مما أدى إلى انخفاض الإنتاج واضطررنا للاستيراد. وإما عندما اطلقنا حرية المزراعين فى زراعة الفول فكانت النتيجة إيجابية وقد عاد معظم المزارعين لزراعته مرة أخرى فتضاعف المحصول وبذلك استغنينا عن الاستيراد. وأخذ بهذا فإننى - كما قال الوزير - أرى أنه لابد من تحرير زراعة القطن والقمح. إنما هذا - يمثل خلاف بينى وبين رئيس الوزراء الدكتور فؤاد محى الدين.

ويستدرك فكرى مكرم عبيد بقوله: وبالطبع ما صدر من حديث ليوسف والى لا يمثل أى خطأ أو عيب إنما المسألة وجهة نظر. ولكننى بمجرد انتهاء الاجتماع ووصولى إلى المنزل. فقد فوجئت بالدكتور فؤاد محى الدين يتصل بى تليفونيا ويبادرنى معاتبا. هل يصح إننى اشتتم فى وجودك.

فاندهشت وأجبته: لا أحد يجرأ على أن يشتم.

فقال: بلغنى أن الدكتور يوسف والى تعرض لى بغير الخير.

فقلت: له: يا فؤاد لم يحدث ولا أحد يجرأ على أن يغتابك فى وجودي. إنما لابد أن تعرف أن هذا الرجل لم يقل أكثر من أنه مختلف مع رئيس الوزراء فى مسألة معينة فهو يرى أنه من المناسب تسعير القطن. والقمح وأنا أرى أنه من المناسب إطلاقهما من كل القيود. لأن ذلك سيترتب عليه تزايد زراعة القطن والقمح وبذلك فإن تسويقهما سيؤتي بعوائد جيدة للدولة.

وهنا توقف محدثى لحظات يرتشف فيها بعضا من الماء ثم يعود معلقا على ما سبق وقال: بالطبع هناك من البعض الذى سعوا للوقيعة بين الوزير ورئيس الوزراء. وتصيدوا ليوسف والى وقلبوا المعنى وقالوا لفؤاد محي الدين أنه - يرى في سياستك أنها تسبب كساد وركود فى البلد ولكنهم تناسوا أن هذا الخلاف شيء طبيعى. كما أننا فى بيت الحزب وليس فى المجلس مثلا أو مكان أخر. ولكن هذه المسألة سبب غضبا لفؤاد محى الدين وبقى فى حالة ضيق من

يوسف والى. وفى أكثر من مرة التـقى به وأقول له: يا فؤاد لا تفهم ما وصـل إليك خطـأ فأنت رجـل كادر سيـاسى من الدرجـة الأولى ويوسف والـى لم يخطـىء فى حقك إنمـا للأسف بقـى على ضيـقه وغضبه منه.

ويختم فـكرى عبيد تعليـقه قائلا: وأن كان الدكتـور يوسف والى أستاذا جامعيـا إلا أنه نجح ولعله الاستثناء الذى يـؤكد القاعدة. لأنه عايش الجماهير وهو مع المزارعـين فى الأرض لأنه فلاح أصيل يشعر بأمالـهم واحتياجاتـهم وله أرض فى الفيـوم يقوم بزراعتهـا. وكانت رسالة الدكتوراه عن زراعة النخيـل فهو فلاح وشعبى وأستاذ وواقعى دائما.

ثم سألته: وحيث كنت نائـب رئيس وزراء مع الدكتور فؤاد محى الدين ورغم الاتفاق بينكما علـى عدم الاستماع لوشاية إلا أن العمل لابد أن يكون قد خلق بعض المشاكل أو سوء الفهم بينكم لاختلافكم فى الرأى مثلا فهل حدث مثل ذلك؟!

أجاب بلهجة لا تخلو من حماس وقـال: كنت قد التقيت بالرئيس مبارك وتحدثنا فى مسائل عديدة. وعندما تناولنا نشاط الحزب. فقلت له: رغم حبى لفؤاد محى الدين وتـقديرى لكفاءته. إلا أننى أرى أنه مشغول بأشياء وأمـور كثيرة لا يمكن لإنسان أن يشغل نفـسه بها. فهو رئيس وزراء وأمين الحزب ورئيس لجنة المحـافظين ورئيس لجنة الأزهر ولديه إحدى عشرة وظـيفة. وعمليا لا يمكن لإنســان أن يمارس عمله بهذه الـكثافة وذلـك العبء. إنما لابـد من تقسـيم هذه الأعبـاء حتى يستطيع أن يركز ويحسن من أداء أعماله. فصدق الرئيس على كلامى

بقوله: لك حق فاتكلم مع فؤاد.

فقلت له: طبعا وهذا أفضل حتى لا يظن أننى أغتابه.

وبالفعل ذهبت على الفور والتقيت بفؤاد محى الدين وذكرت له ما حدث بالأمس فى لقاء مع الرئيس مبارك. إلا أنه غضب وقال: يعنى أنا عاجز فقلت له: طبعا لا.. إنما أنت بنى أدم. بشر مثلى ومثل الأخرين. فكيف تقوم بكل هذه الأعمال بلا تفويض فى السلطة. لابد من التفويض للذين يعملوا معك. فادفع تفويضا للمحافظين حتى يعملوا ولا داعى لتدخلك فى كل كبيرة وصغيرة. ثم انك أمين عام الحزب ولابد أن تكون عمدة إنما أنت تتعامل بصفتك رئيس وزراء. وقد أغلقت الباب على نفسك. وعندما يسعى أحد أعضاء الحزب ليقابلك فإن سكرتيرك يحدد له موعد بعد أسبوع ولمدة عشر دقائق. وهذا لا يستقيم مع كونك أمين عام الحزب. فالحزب جماهير وليس مناصب ولا مكاتب. فرد بقوله: ماذا أفعل فالمحافظين يلاحقوننى حتى ساعة متأخرة بالليل فى المنزل ويطلبوا منى قرارات فى أمور كثيرة فكيف أفوضهم وهم لا يريدوا اتخاذ القرارات بأنفسهم؟! فقلت له:

لأنك لم تفوضهم السلطة وحرية الحركة فعلا.

إلا أن فؤاد قد غضب. ومن هذا اليوم فقد اختلفنا. وكان ذلك قبيل خروجى من الوزارة بأيام. وقد خرجنا والنبوى إسماعيل والله يرحمه محمد عبدالفتاح نائب رئيس الوزراء للشئون الاقتصادية السابق.

ويعقب محدثى على ذلك بقولـه: فالدكتور فؤاد محى الدين يميل إلى تجميع السلطات فى يده ليشعر أن الناس تلجأ إليه. وإلى أن توفاه الله كنا أصدقاء. وكان من أبرز الكوادر السياسية ويستطيع أن يجذب الناس عندما يتحدث ولو تفرغ للحزب لحقق نتائج جيدة.

وعند هذا الحد من الحـديث سألته عما كان يدور علـنا وتارة خفية من صراع أو خلاف بين الـدكتور فؤاد محى الدين والـدكتور صوفى أبو طالب رئيس مجلس الشعب..

ولكنه بادرنى معقبا وقبل أن يجـيب فقال: أنك تضرب على نغمة حساسـة ولكننـى سأجيب من الـنهاية أو كمـا يقال من الأخـر. فقد جاءنى يـوما المستشار حـلمى عبدالأخر وزيـر الدولة لشئون مـجلس الشعب وهمس لى بقوله:

إننـى أرى أن هنـاك خلاف بـين د. صوفـى ود. فؤاد وأرى أنـه يمكنـك أن تقرب بيـنهم. لأنه مـن خلال موقعـك الجيد بين الأثـنين كصديق لهما وأمين عام الحزب يمكنك أن تصفى هذا الخلاف.

فسألته عن أول الخطوات فى ذلك. فأجـابنى: ادعوهم للعشاء فى منزلك.

فقلـت له: حسنا. وبالـفعل دعوتهـم وكذلك زوجاتهم وحـلمى عبدالأخـر حتى يكون العـشاء عائليا بـوجود الزوجات. وقد جلـسنا كرجال مع بعـض واستطلعنا وجه الخـلاف. فتكشف لنا أنهـا مسائل مظهرية. فمثلا الدكتور صوفى أبـو طالب لا يعطى لفؤاد محى الدين

حق مركزه فـى أثناء الجلسات. فـعندما يرفع يـده ليتحدث كحـكومة وهذا حقه طبقا للائحة الداخليـة لمجلس الشعب فإن المتحدث يتوقف عن الكلام وتمنح الكـلمة للحكومة ثم يعود المتـحدث للاستمرار فى حديثه. إلا أن الدكتـور صوفى كان يتغاضى عن هذه المـسألة ويجعل المتحدث ينتهى من حديثه ثم يعطى الكلمة للدكتور فؤاد محى الدين. هذا من الجـانب المظهري. ومـن جانب أخر تردد أن د. فـؤاد محى الدين لـم يكن راضيـا عن رئاسة د. صوفـى لمجلس الشـعب وكان يسعى لترشيح غيره ومنهم الدكتور محمد كامل ليلة.

ويضـيف فكري مـكرم عبـيد بقـوله: وإذا عدت لبـداية ترشـيح الدكتور صـوفى أبو طالب لرئاسـة مجلس الشعـب. وكان ذلك ابان غضب الرئـيس السادات من المهنـدس سيد مرعى عندمـا كان أنصاره يبالغون فى تمجـيده فإننى كنت فى لقاء مع الرئيـس السادات بالمعمورة فى الاسكندرية وقـد سألنى عن رأيى فى الدكتور صـوفى فقلت له: أنه رئيس جامعـة واستاذ كبير ولديه عدة دراسات وهـو يتشرف دائما بأن يقول عن نـفسه أنه «خوجه» فلا يعرف إلا تـلاميذه وزملاءه من الأساتذة إنما لا يـعرف أعضاء المجلس جمـيعهم. فقال لـى الرئيس: البركة فيك.

فالـتقيت بـالدكتور صـوفى أبو طـالب وقلت لـه: عايزك تتـعرف بأعضاء مجلس الشـعب وتقرب منهم فسألنى مندهشـا: ليه أنا صلتى بهم أيه. أنا فى الجامعة فقلت له: معلهش خدها منى نصيحة.

وبالفعل بدأ ذلك. ولكن يبدو أن هذا مضاد لطبيعته فهو أستاذ جامعى من الدرجة الأولي. وباحث ودارس أكاديمى من الدرجة الأولى. إنما ليس له حضور مع الجماهير. وحتى تركه لرئاسة المجلس فإنه لا يعرف جميع أعضاء المجلس ولا أسماءهم. وعندما كان يرفع أحدهم يده ليتحدث أو يطلب الكلمة فإنه يشير إليه بقوله: الأستاذ اللى هناك.. وهذا عكس ما نراه الأن من الدكتور مصطفى كمال حلمى فهو يعرف أعضاء مجلس الشورى عضوا عضوا. ويكاد يقول السيد العضو نائب دائرة كذا. ونحن نرى في البرلمانات بالخارج. أن رئيس المجلس يعرف النائب ودائرته فرئيس مجلس العموم البريطانى يشير للعضو: النائب المحترم ممثل دائرة كذا لأنه من المفترض أن يكون عارفا اسمه ودائرته وحزبه أيضا.

إلا أننى استوقفته لحظات وسألته عن اعتراضه المبدئى على رئاسة الدكتور صوفى أبو طالب لرئاسة مجلس الشعب فلماذا اختير الدكتور صبحى عبدالحكيم رئيس مجلس الشورى أمينا عاما للحزب الوطنى بعد وفاة الرئيس السادات؟

أجاب بحماس وعلى الفور قائلا: أن الدكتور صبحى عبدالحكيم من أفضل الناس وهذه صيغة مبالغة فى الفضل. فالرجل فاضل وسليم ونظيف كالبرلنت وعالم ووطنى ودؤب وشغال وعف اللسان وهذه الصفات مجتمعه أهلته لأن يكون أمين عام الحزب ضمن اسماء كثيرة طرحت من أجل ذلك. إنما رؤيا أنه أفضلهم. إنما للأسف فإن الاستاذ الجامعى فى برج عال بعيدا عن الجماهير كثيرا. فهو عالم

جليل ودارس ومقنـع فى مجال تخصصه الجغرافـى والسكانى إلا أنه ليس جماهيريـا. إنما عندما يوضع فؤاد محى الدين بـين الجماهير فهو قائد جمـاهيرى. إنما تكلف أيضـا فؤاد بدراسة موضوع فلا يسـتطيع ذلك بصـورة جيدة إنما هو سـياسى ممتاز والتـنفيذى كذلـك لأنه كان محمل نفـسه بأعباء كثيرة وكـما يقول المثل الانجليـزى: الذى يتعرض للكثير فلا ينتج إلا القليل.

ثم سألته عن محمد النبوى إسماعيل وزير الداخلية الأسبق والذى كان يعـد من الشخصيـات الهامة بل وربما المحـورية المحيطة بالـرئيس السادات والذى تعامل معه ابان وجوده كنائب رئيس وزراء وأمين عام الحزب الوطنى؟

فقال: الحقيقـة أن النبوى إسماعيل ضابط بوليـس ممتاز ومخلص اخلاص كامـل للرئيـس السادات. ورجل وطـنى وحازم ولعـله كان شديدا بعض الشىء فى وقت من الأوقات وكان ذلك مطلوبا. إلا أن الخطأ الذى وقع فـيه ـ وجل من يخطىء ـ أنه ضخم الحـركة المناوئة للسادات بأكثر مما تستحق. فدفـع السادات للتخوف من هذه الحركة بما فيها من معارضـة وكان من الممكن ـ وأنا أنظر للمسـألة بعد ١٥ سنة التخفيف من هذه الحركة ومن غلوائـها بالأسلوب السياسى كاللقاءات والمنافـشات والمشاركة فـى الرأى وخاصة أعضاء المـنظمات الشـرعية كالأحـزاب والنقابـات إنما هو أقـنع الرئـيس السادات بـأنه لا سبـيل للتفـاهم معهم إطلاقا. وبذلـك كان الخطأ فى علاج حركـة المعارضة وهو فى هذا حسن النية ويقصد خير إنما النتيجة لم تكن كذلك حيث

وقعت اعتقالات ٥ سبتمبر واعتقل ألف وخمسمائة من مختلف المشارب والاتجاهات. وتألب الرأى العام ضد السادات ثم وصل الأمر إلى اغتياله فى ٦ أكتوبر. وإما لماذا كان يضخم المسائل عند السادات فلأنه يسعى لأن يكون صاحب فضل عليه. فهو يضخم الأمر ثم يقوم بمحاصرته وبذلك يكون له فضل على السادات. وإذا كان كما ردد البعض أنه يسعى لرئاسة الوزارة. فإن الدكتور فؤاد محى الدين حينذاك يتربص لهذا ويباعد بينه وبين تحقيق ذلك. كما أن الأمر كذلك مضاد لتفكير السادات فى تلك الأونة.

وأخيرا عندما أعلن تشكيل الحزب الوطنى كحزب أغلبية جديدة. فإن حزب الأغلبية السابق عليه وهو حزب مصر قد تمسك ببقاءه ما يقرب من ستة وعشرين عضوا تزعمهم المهندس عبدالعظيم أبو العطا وزير الرى فى ذلك الحين وقد مارس معارضة عنيفة بعض الشىء للحزب الوطنى فما تفسيرك تمسكه بحزب مصر وزعامته؟!

لحظات من الصمت. وكأنه يتذكر. أو يرتب أفكاره ثم قال بهدوء: إننى لا ألوم من تمسك بحزب مصر. فهذا حقهم. إنما المهندس عبدالعظيم أبو العطا ـ الله يرحمه ـ كره الحزب الوطنى لكراهيته لى. وكنا فى إحدى جلسات مجلس الشعب. وكنت حينئذ نائب رئيس حزب الأحرار. ودارت مناقشة ساخنة بين رئيس الحزب صديقى مصطفى كامل مراد وعبدالعظيم أبو العطا بصفته وزيرا للرى. وهذا الأخير هاجم الحزب قائلا: أن حزب الأحرار الاشتراكيين مثل الأصبع السادس فى اليد. كما قيل فى حزب الكتلة

الوفدية قبل الثورة. وحيث إننى لم أكن طرفا فى هذا النقاش وقد شعرت أنه يتعرض لأخى الكبير وليم مكرم عبيد الذى كان رئيس لحزب الكتلة الوفدية. فقمت وعقبت على هجومه ووجهت له حديثى قائلا: أرجو أن تعتذر عما بدر منك حول الكتلة الوفدية ورئيسها. الذى لا تعرفه. والذى كان منفيا في سيشل وحكم عليه فى قضايا سياسية من أجل نضاله الوطني. وكان ذلك قبل حضرتك ما تولد ولعلك كنت ولدت إنما ترتدى البنطلون القصير.

وعلى الفور فإن ممدوح سالم رئيس الوزراء وقف وأعلن اعتذاره عن هذا الخطأ غير المقصود وأن جميع المصريين يجلون ولـيم مكرم عبيد باعتباره مناضل وطنى.. ومن هنا اخترق ممدوح سالم قلبى وحصل على مساحة عاطفية ليست قليلة.

هذا وكان المرحوم عبدالعظيم أبو العطا فى حالة غضب لأن الرئيس السادات لم يوليه منصبا حزبيا فى الحزب الجديد ومن هنا تزعم المجموعة التى تمسكت بحزب مصر.

ومارس معارضة دفعت به أن يكون ضمن المعتقلين فى ٥ سبتمبر عام ١٩٨١ وكان أحد رجال الرئيس السادات من قبل إلا أنه انقلب ضده لأنه لم يحصل على ما سعى إليه من منصب فى الحزب وقد خرج من الحكومة أيضا.

وأخيرا سألته عن أسباب تنحيته عن منصب أمين عام الحزب ليكون أمين اللجنة الدائمة أو المجلس الدائم للحزب الوطنى وتولى

الرئيس مبارك حينذاك منصب أمين عام الحزب وكان نائبا لرئيس الجمهورية.

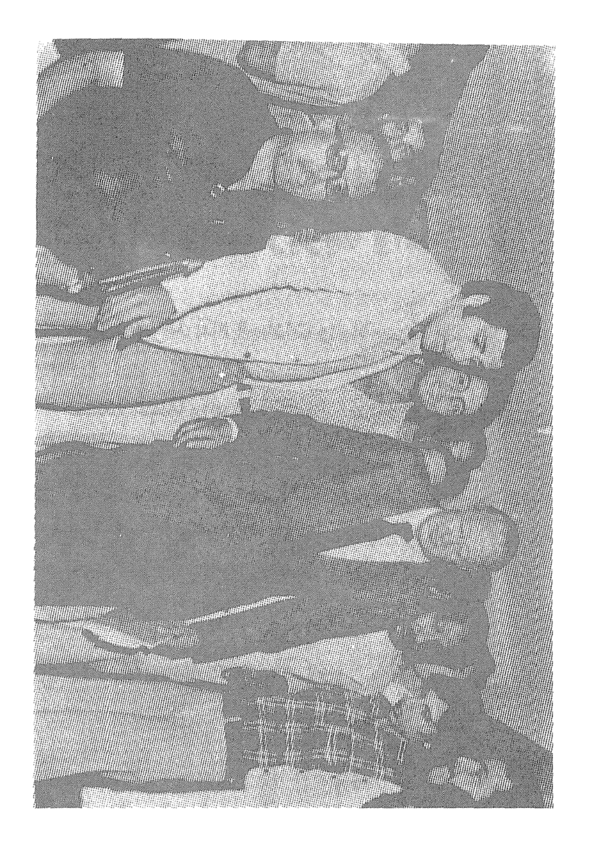
فقال: رغم اصرار الرئيس السادات على اختيارى أمينا عاما للحزب الوطنى وكانت هناك ثقة ومحبة متبادلة معه. إلا أنه حاول وسعى الكثيرين لزعزعة هذه الثقة وخلق جفوة فى هذه المحبة إلا أنهم لم ينجحوا فى ذلك. وتحت تزايد الضغوط عليه فإنه لم يبعدنى عن الحزب إنما جعلنى رئيس المجلس الدائم للحزب. وفى ذلك همس لى الرئيس مبارك بقوله: أرجو الا تحزن أو شىء من هذا القبيل. لأنك عينت فى موقع يعد ترقيه. وثانيا لأن الذى حل محللك نائب رئيس جمهورية. فلا تحزن.

فقلت له: إننى فى أى موقع أخدم بلدى.

وأضلف محدثى: كان الرئيس مبارك يدرك ويعى تماما الملابسات والظروف ومتفهما كل ذلك إلا أنه ربت على كتفى ليؤكد لى ذلك مشجعا ومقدرا لموقفى وموقعى الجديد.

الفصل السابع:
السادات والبطريرك والحقيقة

- تأجيل موعد لقاء السادات والبابا بسبب حضور الشاه لمصر.
- غضب البابا واساء فهم السادات فأمر بالصيام والحداد.
- كانت ٥ سبتمبر اجراءات غير طبيعية لمواجهة ظاهرة غير طبيعية.



وفي أثناء حديثي مع فكرى عبيد. فقد مررنا على أحداث ٥ سبتمبر عام ١٩٨١ التي إعتقل فيها الرئيس السادات مايقرب من ألف وخمسمائة سياسى.

وقد دار حوارنا حول تفسير هذه الأحداث ولماذا أقدم عليها السادات وخاصة ان مقدمات حكمه لاتؤدى إلى هذه النتيجة أو تلك الأحداث ولاسيما بعد انتصارات أكتوبر عام ١٩٧٣ كذلك مبادرة السلام عام ١٩٧٧ قد علق محدثى على ذلك بقوله: ان السادات لم يكن من طبيعته اطلاقا كبت الحريات. يؤمن بالحجة والمنطق. بذلك فهو يكسب معاركه دائما. فإذا كانت في الجيش فهو رجل عسكري محنك. وان كانت فى السياسة فهو رجل سياسة من الطراز الأول. وان كانت بين الفلاحين فإنه رجل فلاح. فهو فى أى معركة يرتدي لبساها بدون صعوبة حتي عندما بدأت الحركات المتطرفة نشاطها فقد ارتدى الجلباب وان كان فى هذا فهو مؤمن وإيمانه عميق وقارئ ودارس وقد تصور أنه سيكسب المعركة مع التطرف بالأقناع والهدوء.

ثم أطرق برأسه لحظات وهو يحرك حبات المسبحة بين أصابعه ثم رفع رأسه وعلى سماتها شئ من الأسى وقال:

فى الأسابيع الأخيرة قبل وفاته. فقد وصلت إليه تقارير من

جهات مختلفة حول ما تسمى بحكومة الظل بين هذه الجماعات المتطرفة. فقد شكلوا بينهم تنظيمات هرمية وغير هرمية وامراء للجماعات ووزراء ورئيس وزراء وقد دفعت محتوى هذه التقارير الرئيس السادات إلى الحائط فى ظهره. فاشتد انفعاله وخاصة ان هذه التقارير كانت متواتره وقريبه من بعض في محتواها. وخشى ان تقوم فتنة سواء كانت فتنة طائفية أو سياسية. حتى عندما وجد بعض المسيحيين متشددين فقد أمر باعتقالهم كالمتشددين من المسلمين وحتى لايقال انه ضد الحركات الإسلامية وأنه أبعد ما يكن عن هذا. ولذلك اضطر لاستبعاد البطريرك الباب شنوده إلى الدير.

ثم صمت لحظات يهز رأسه وكأنه ينعش ذاكرته ثم قال: وافق استبعاد البطريرك سبقها سوء حظ. ونبدأ بأول خيط وهو زواج ابنة أخت مطران بنى سويف من شخص مسلم قد أحبته وأشهرت اسلامها. من هنا ظهرت حركتين مضادتين الأولى حركة تذمر بين المسيحيين والثانية حركة سرور بين المسلمين وبظهورهما فقد تولد شئ من التوتر والاحتكاك الذى لم يصل إلى حد العراك بالأيدى. إنما كانت المشاعر مكتومة فى القلوب وهذه حادثة واحدة. وعندما سألنى أحد الصحفيين. آنذاك علقت بقولى: ان هذه السيدة لن تزيد عدد المسلمين ولن تقلل من عدد المسيحين. فهذه حالة فردية. كما ننا لسنا قوامين على الناس. فلكل من الناس مايؤمن بما يريد.

الا أن هذه الواقعة أو الحادثة قد تضخمت حيث يلتقى المطارنة مع بعض ويتبادلون الشكوى من أحداث أو وقائع مماثلة كل في قريته أو

مدينتـه وان كان من الطبيعى انـه ليس هناك أسرة أو عائـلة الا ويقع فيها خلاف بين الأشقاء. فهو من طبـيعة البشر الا أن تبادل الشكوى ضخم من هذه المسألة وأدى ذلك إلـى أن المجمع المقدس احتج على ذلك وقرر اعلان الصيام والحداد فى العـيد وعندما وصل الأمر لعلم الرئيس السادات عـقب قائلا: مفيش مايدعو لـذلك. وان كانت هذه النتيجة سيئـة. ثم طلبنى لمقابلته بصفتـى أمين عام الحزب ويعرف منذ سنوات طويله انـه ليس عندى اتجاهات طائفية ولا أفـرق بين مسيحى ومسلم انمـا أعرف المواطن مصرى وطنى مـخلص فقط فما يـثبت لى ذلك فأرفـعه فوق رأسى واما اذا كان عـكس ذلك فأضربه بـالفأس. وبادرتنى عند لقاءه وقال: يافكرى وجه دعوة لأعضاء المجمع المقدس لالتقى بهم لتـوضيح الأمر وتبديد مخاوفهم. وبالطـبع كان البطريرك على رأس المدعويـين وعددهم خمسة من كبار المطـارنة. وكان الموعد يوم أربعاء فى منزل الرئيس بميت أبـو الكوم وقبل عيد المسيحين وكان يسمى أربعاء أيوب الا أنه من سـوء الحظ أنه تحدد موعد وصول شاه ايران فى ذلك الـيوم بعد أن وجهت الدعـوة اليهم. وبالتـالى اضطر الرئيـس السادات الغاء موعـد الدعوة وتأجيـلها لهذا الظـرف الطارئ وكانت عـيون العالم كـله على مصـر فى ذلك اليوم. حـيث ان شاه ايران لـم يجد دولة تـأويه الا مصر. وقـد اضطر الـسادات لتأجـيل لقاءهم وهم عرفـوا بذلك وظهر استقبال الشـاه فى وسائل الإعلام. الا أنهم اساءوا الظـرف الطارئ وقالوا: ان السادات يحتـقرنا ولايريد مقابـلتنا. ثـم أعلن المجمـع المقدس الصـيام والحداد والامتـناع عن الاحتفال بالعيد.

ويستدرك فكرى مكرم عبيد بقوله: وللأسف الشديد عند تأجيل الموعد شعرت أنه ربما يساء فهم موقف الرئيس السادات. فبعثت فى طلب لقاء ثلاثة من أخواننا المسيحين الذين تربطهم صلة أوعلاقة بالبطريرك وهما: حنا ناروز عضو مجلس الشعب وعدلى عبدالشهيد الوزير السابق ورؤوف شلبى عضو مجلس الشورى الحالى. الا أنه لم يحضر حنا ناروز رغم أنه أقربهم للرئيس السادات فقد زامله خمس سنوات دراسية فى المرحلة الثانوية وكان يستذكر دروسه معه. وفى نفس الوقت كان من كبار مستشارى البطريرك. وكان من المفروض تبعا لموقعه من الأثنين الحضور الا أنه لم يلبى طلبى فى ذلك. اجتمعت مع عدلى عبدالشهيد ورؤوف شلبى وطلبت منهم ان يبلغوا البطريريك بأنه لاداعى لاتخاذ أى اجراءات إلا أنه لم يقتنع وعلق بقوله: لقد نالتنا اهانة واما لقاء شاه ايران فكانت ذريعة لعدم مقابلتنا. وللأسف أعلن الصيام الحداد ومنع المسيحيين من الاحتفال بالعيد رغم انه عيد كبير له قيمة كبرى.

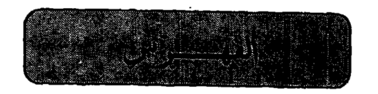
انما كما ترى- للأسف- فإن سوء الحظ هو الذى خلط الأمور بسوء فهم أو سوء ظن. ولذلك اضطر السادات لابعاد البطريرك الى الدير فى مقابل اعتقال بعض الزعامات السياسية ومنها زعامات إسلامية. حتى يحقق التوازن ولايتهم بالمحاباة لأحد الطرفين.

ويختم محدثى روايته بلهجة الأسى والتى بدأ بها حديثه فى هذا الصدد وقال:

وللأسف فإن البطريرك حتي كتابة هذه السطور مازال غاضبا منى وفى قناعته انه كان من الممكن منع اجراءات ٥ سبتمبر ولكنه لايدرك ان هذه الاجـراءات اتخذت كـقرار علـى مستوي الـقيادة الـسياسـية والحزبية ولايمكن حينذاك منعها. كما أن الرئيس السادات- ليس دفاعا عنه- وبـالتحليـل أو التفسير المـوضوعى فإنه لـم يجد مفر مـن تلك الاجراءات في مـواجهة ظاهـرة غير طبيـعية وغير سـليمة. ولايمـكنه الاكتفـاء باعتقال المـسلمين فقط ويـبدو وكأنه يكـيل بمكيلـين وكذلك بالنسبة لـلمسيحين يعتقلـهم فقط ويبدو أيضا أنه يعـمل بمكيال واحد فاضطر لعمل توازن وجمع عنـصرى الأمة فى سلة احدة وبذلك منع شرر كبير.

وان كنت من حيث المبدأ أرى ان اجراءات ٥ سـبتمبر وقبل الحكم وبعده. ومع ذلك فالأمانة تقتضـى أنه حتى لو كانت تلك الاجراءات خطأ. الا أنه إذا كان الأمـر لايعدو اعتقال ألف وخمسـمائة من أجل حمايـة خمسون مليـونا. فلا غرو من هذه الـتضحية وخاصـة أنهم عوملوا في الاعتقال أفضل معـاملة. وكان ذلك من أجل مصر ولابد -أحيانا- من التضحية من أجل أمانها وسلامة شعبها.

وهنا انتهى حوارى أو حديثى مع فكـري مكرم عبيد تلك الومضة التـاريخية الـتى كان لابـد من الامعان فـيما تـضيئـه لكشف وقـائع وأحداث وحقائق تاريخية كان فى بعضـها شاهدا حيا وصادقا وبعضها الآخر صانعا بأمانة وصدق.



كتب للمؤلف

دراسات سياسية وتاريخية:

١ - لعبة الأمم وعبدالناصر- المكتب المصرى الحديث- يناير ١٩٨٧

٢ - لعبة الأمم والسادات - الزهراء للإعلام العربى - أكتوبر ١٩٨٨

٣ - وزارة ٦ أكتوبر - دار ثابت - يناير ١٩٩٠

٤ - مؤامرة القرن الواحد والعشرين - الزهراء للإعلام العربى - يناير ١٩٩١

٥ - كيف يصنع القرار فى مصر - مدبولى الصغير - أبريل ١٩٩٣

٦ - معركة الحزام الذهبى (معركة البترول) بالإشتراك مع محمد حسن التهامى نائب رئيس الوزراء الأسبق برئاسة الجمهورية - نوفمبر ١٩٩٠

دراسات برلمانية:

١ - برلمان الثورة - مدبولى الكبير - جزأين - يناير ١٩٨٤

٢ -يهود فى برلمان مصر - دار الشعب - ديسمبر ١٩٨٨

٣ - الإخوان فى البرلمان - المكتب المصرى الحديث طبعة مايو ١٩٩٢ - أولى - الدار الإسلامية للنشر والتوزيع طبعة يناير ١٩٩٤ - طبعة ثانية.

٤ - برلمان الخمسين فى المائة- الزهراء للإعلام العربى - يناير ١٩٩٥ .

٥ - المرأة والبرلمان - تحت الطبع.

دراسات أخرى:

موسيقار من سنباط - دار المعارف - ١٩٨٣

حوارات : فكرى مكرم عبيد وأسرار سياسية - دار الواحة - أكتوبر ١٩٩٥

صور كتاب فكرى مكرم عبيد

١ - فكرى مكرم عبيد فى مكتبه وأثناء الحوار معه وهو يتذكر التاريخ..

وهذه الصورة موقعها فى أول صفحة بعد المقدمة.

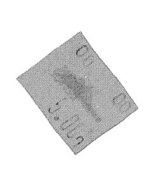
٢ - فكرى مكرم عبيد يرحب بالجماهير فى إحدى المؤتمرات الشعبية.

٣ - صورة للرئيس السادات ونائبه حسنى مبارك ورئيس الوزراء الدكتور مصطفى خليل وفكرى مكرم عبيد فى لقاء حزبى.

٤ - صورة لنائب رئيس الجمهورية حسنى مبارك ود. مصطفى خليل رئيس الوزراء وفكرى مكرم عبيد نائب رئيس الوزراء وأمين عام الحزب الوطنى الديمقراطى الحاكم.

٥ - فكرى مكرم عبيد فى لقاء مع شباب الحزب الوطنى الديمقراطى.





هذا الكتاب

رحلة فكري مكرم عبيد من تأسيس اللجنة التنفيذية العليا للطلبة عام ١٩٣٥ إلى دخول دائرة الظل السياسي هي رحلة مثيرة مليئة بالأسرار ولكن الكتاب ليس من أدب الإثارة وإن كان حافلاً بالأسرار المثيرة ، في هذه الرحلة هم نجوم سياسة بعضهم رحل وبعضهم مازال أسمه يلمع في سماء المجتمع ففي هذا الكتاب يلتقي النحاس باشا وفؤاد سراج الدين، فيه لأول مرة موقف فؤاد سراج الدين من استخدام المال كسلاح للوصول للسلطة وتفاصيل محاكمة انور السادات عام ١٩٤٢ وعلاقة الإخوان بفكري مكرم عبيدويكشف الكتاب لأول مرة أيضاً الخلاف بين يوسف والي وفؤاد محي الدين والصدام بين البابا والسادات و.........

الناشر

الواحة للنشر والتوزيع

٤ ش احمد سوكارنو ـ العجوزة

ت : ٣٤٦٤٧٣٧ ـ ٨٦٤١٥١